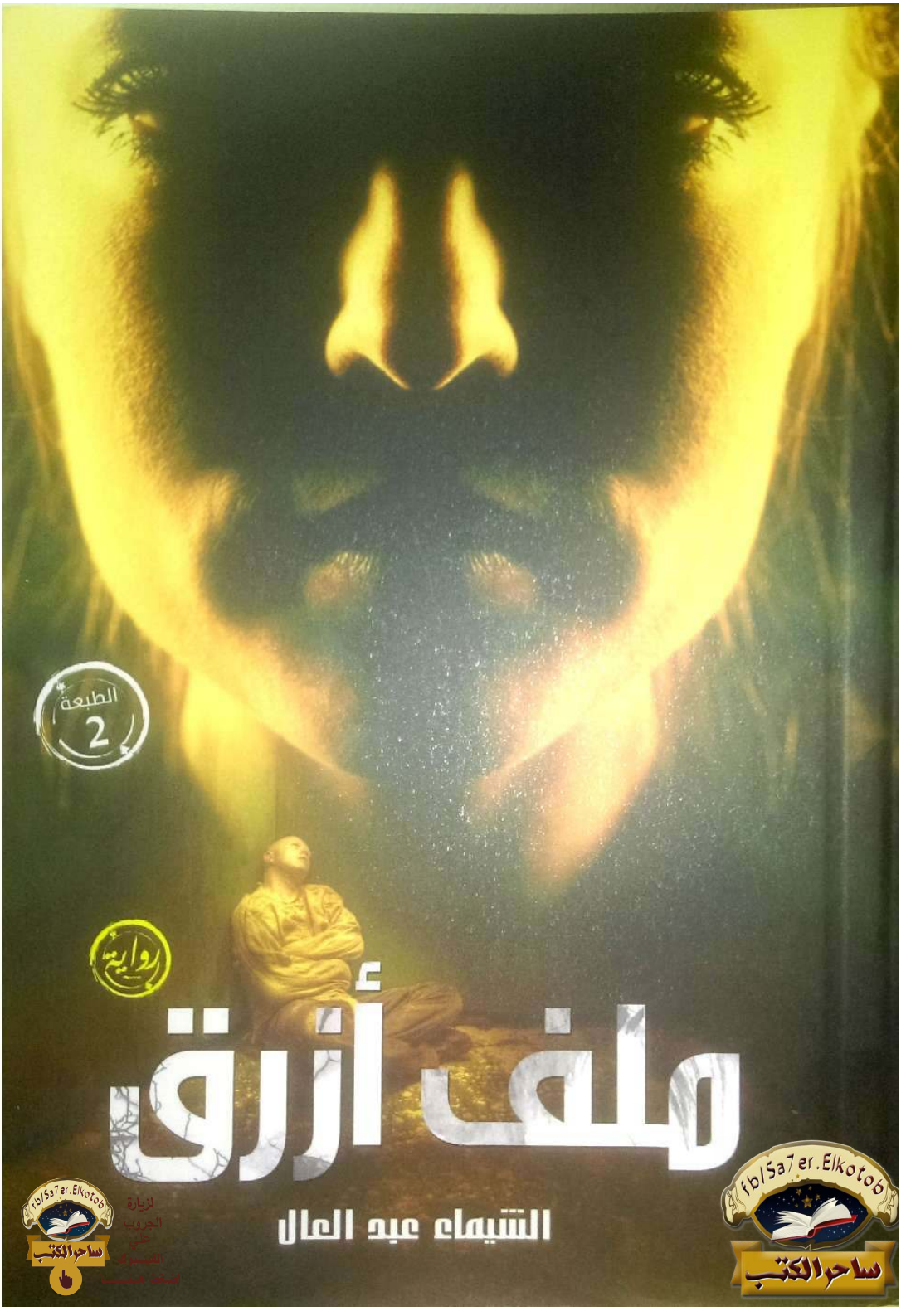

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب على الفيسبوك اضغط هنا
fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

مَلَفّ أزْرَق

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

الكتاب : ملف أزرق
المؤلف : الشيماء عبد العال
تصميم الغلاف : أسامة علام
تدقيق لغوي : سارة صلاح
رقم الإيداع : 2015/22897
الترقيم الدولي : 978-977-778-041-4
الطبعة الأولى : 2016
الطبعة الثانية : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

مَلَــــفّ أزْرَق

رواية

الشيماء عبد العــال

للنشر
والتوزيع

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هـنــــا

الإهداء

إلى من أرسو بداخلي حُبَّ القراءة، إلى من منحوني حقَّ الحياة

إلى من أعيش بهم ومن أجلهم، أبي وأمي أهديكم كتابي الأول..

زوجي، يا من تحملت معي عناء الكتابة وتقلباتي المزاجية

وآمنت بموهبتي؛ فبدونك لم أكن لأستطيع

أن أكتب تلك السطور التي تُعَدّ

مولودًا لنا.

إلى كل من آمن بموهبتي ودعمني قولًا وفعلًا

كنتم لي تلك الشجرة الوارفة التي ظللت عليَّ

أصدقائي الأحباء، أهديكم كلمات أشفق عليكم عند قرائتها

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

مقدمة

أقدِّم لحضراتكم هذه الرواية وأنا واثق كل الثقة من استمتاع القارئ بما بها من أحداث تدمج الخيال بالواقع، ولما للكاتبة من خلفية أكاديمية نظريًّا وعمليًّا، طِبقًا لما درست من موضوعات تتعلق بالاضطرابات والأمراض النفسية التي تلقي الكاتبة عليها الضوء في هذه الرواية؛ فهي إحدى الروايات الرائعة التي توضِّح معاناة المضطربين نفسيًّا على المنحى الشخصي والاجتماعي.

تمنياتي للقارئ بالاستمتاع بالقراءة، وتمنياتي للكاتبة بالتوفيق والنجاح.

أخصائي العلاج النفسي

د. محمد سعد الدين السيد

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

(1)

أشعر بالاختناق، كأنه لا يوجد بهذه الأرض ذَرَّة أكسجين واحدة يمكن أن أتنفسها !

الحياة ثقب أسود يبتلعني..

الروح صندوق مغلق بلا مفتاح..

إلهي.. ضاقت بي الأرض فلم أعد قادرًا على التحمل، إلهي خارت قواي فلم أعد أستطيع أن أكمل، ولا أريد.

تُرى هل ستغضب مني إن أنهيت معاناتي تلك؟! هل ستحاسبني؟! هل ستحرقني في جحيمك؟!

أنا لا شيء، لا شيء.. هل تسمعني حقًا.. أنا لا شيء!!

قالها بصوت هادر صارخ يائس، وكأنه يريد أن يصل بكلماته إلى السموات العلى، قبل أن يخفض بصره إلى الأرض كاسفًا، وأنفاسه تتهدج من البكاء قبل أن يسقط مغشيًا عليه.

*****

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

يتسلل ضوء شاحب عبر سنابل نافذة ضيقة محاطة بقضبان حديدية سميكة، ليسقط على فراش وحيد يقبع منزويًا في أحد أركانها يتكوم فوقه، يوسف الغارق في عرقه، مكبلًا بتلك الأربطة الجلدية المتهرئة التي لا يستطيع معها حِراكًا.

الرائحة مكتومة والهواء ثقيل، يجاهد يوسف كي يفتح عينيه الزرقاوين المحتقنتين كالدم، فيشعر بجفنيه يزنان أطنانًا، يحاول أكثر، فلا يستطع إلا لثوانٍ معدودة يصدمه فيها مرأى تلك الغرفة الضيقة باهتة اللون مظلمة الأركان، فيحاول أن يستدعي من الذاكرة ما يساعده على معرفة أين ولماذا وكيف وصل إلى هذا المكان المقبض؟!

غمرته الحيرة لدقائق كان يفارق فيها الوعي ثم يعود، وعندما استفاق وتمالك شتات نفسه حاول أن يتحرك فلم يستطع، فتملكته حالة من الغضب عندما أيقن بكونه مقيدًا، حاول مع قيوده لدقائق حتى كادت أن تخترق لحمه، وعندما عجز أصابته نوبة من الهستيريا، فازداد هياجه وبدأ في الانتفاض والصراخ، ثم أخذ يتحرك بعنف، حتى صار الفراش يصدر أزيزًا مخيفًا كمرجل يغلي ويفور فوق موقد.

ومع الضجيج الذي أحدثه هرعت الممرضة تنادي على الطبيب المناوب الدكتور (خالد)، الذي حضر على الفور وخلفه اثنان من الممرضين الأشداء، وما إن عبر إلى داخل الغرفة حتى اقترب من يوسف مهدئًا:

- اهدأ ستكون بخير أرجوك اهدأ، أنا بجانبك..

وعلى نحو عجيب هدأ يوسف وتلاشت ثورته وهو ينظر نحو الطبيب بعدائية وخوف في نفس الوقت، ونظراته مزيج من الاستجداء والكراهية،

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

ولم يدم هذا الهدوء سوى للحظات قبل أن يعود لنوبة أشد من الهستيريا كبحتها قيوده، وهنا نظر الطبيب للممرضة، ثم قال:

- وفاء " أمبول دورميكام " وأعديه لجلسة كهرباء مسائية.

وكأنما أدرك يوسف الهول الذي هو مقبل عليه، فدوت صرخاته لترج جدران الغرفة.

وبعد عدة ساعات، كانت الكهرباء تسري من الأقطاب إلى رأسه، ومن حُسن حظه أنه كان تحت التخدير الكامل.

*****

كانت لحظة الاستيقاظ مهمة جدًا، ويفضل دكتور خالد أن يكون متواجدًا فيها مع كل مريض، ولكنه مع يوسف كان الأمر مختلفًا، هناك شيء في يوسف أثار تعاطفه ومسّ شغاف قلبه، ربما هي تلك النظرة التائهة المستجدية، التي ذكَّرته بشقيقه الراحل، شقيقه الذي لم يجد من يهتم به أو يملك العلم الكافي ليخرجه من ظلمات نفسه حتى أوته ظلمات القبر شابًا، وجعلته يصرّ على أن يمتهن ذلك الشق النفسي من مهنة الطب، كما أن هناك شعورًا غامضًا يخبره أنه سوف يكون له قصة معه.

انصرف طبيب التخدير بعد أن بدأ يوسف في الإفاقة، وظلّ بجواره دكتور خالد يتابع مراحل وعيه، وكما توقع تمامًا، كان يوسف يشعر بالحيرة بسبب حالة النسيان المؤقتة التي تسببها جلسة الكهرباء، والتي كانت الحل النهائي بعد تأثير العلاج الدوائي الضعيف، وحالة الهياج التي لازمت يوسف لعدة أيام.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

تركه الدكتور خالد لعدة دقائق يتمالك نفسه، ويتغلب على ألم العضلات الذي يظهر على وجهه، وهو العرض الثاني للجلسة، قبل أن يبتدره قائلًا:

- كيف حالك الآن؟
- أشعر أني لست بخير، ورأسي يكاد ينفجر من الصداع، وهناك آلاف التساؤلات بداخل رأسي، ما إن تتشكل حتى تتبخر مرة أخرى.

هزَّ الطبيب رأسه في فهم ثم قال:

- هي أعراض جلسة الكهرباء، ساعات قليلة ويعود كل شيء إلى طبيعته، فقط لتسترح.

هزَّ يوسف رأسه في ضيقٍ قبل أن يقول بصوتٍ مقتضب:

- والقيود؟!

أشار الدكتور خالد للممرضة المصاحبة له، لتفك القيود وهو يوجّه حديثه ليوسف:

- القيود كانت ضرورية مع حالتك السابقة، ولكنها لم تعد ضرورية الآن؟!

ظهر على وجه يوسف بعض الراحة، ولكن تلك الفجوات بداخل عقله كانت تسبب له الضيق، خاصة وهو يحاول جاهدًا أن يتذكر اسم الطبيب، وعندما عجز، قرر أن يستكين للراحة، وينتظر.

ثقيل جدًا مرور الساعات عندما تكون مريضًا، وأثقل عندما تحتجز بداخل المستشفى، وتكون كالأبد عندما تفقد ذاكرتك، حتى ولو كان فقدانا مؤقتًا نتيجة صعق مخك بشحنات كهربائية محسوبة.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وبرغم نصائح الطبيب لم يستطع الانتظار؛ فبعد مرور ساعة ضغط زر استدعاء الممرضة المعلق عند رأسه أعلى الفراش، وما إن دخلت الغرفة حتى ابتدرها قائلًا:

- هل من الممكن أن أتحدث مع الطبيب الذي كان هنا؟
- هل تقصد الدكتور خالد؟

هز رأسه في حيرة ثم قال:

- إن كان هذا اسمه، فهو المقصود.

غادرت الممرضة ثم عادت بعد ساعة بمقعد متحرك، وكان معنى هذا واضحًا، الدكتور ينتظرك في غرفته، وكان هذا من دواعي ارتياح يوسف بعد أن فقدَ الأمل في عودتها أو عودته، وبدأ يهدأ أكثر خاصة وأن فجوات ذاكرته بدأت تلتئم، وبدأ يتذكر ما بخرته الشحنات الكهربائية.

عبر يوسف باب غرفة الدكتور خالد مدفوعًا فوق الكرسي المتحرك كالعجائز، ولثوانٍ شعر بالاستياء، قبل أن تتلاشى كل هذه المشاعر السلبية، برؤيته غرفة دكتور خالد وتلك اللوحات التي تكسر كآبة المكان.

استقبله دكتور خالد وعلى وجهه ابتسامة، جعلت عينيْ يوسف الزرقاوين تتألقان بالحيوية والحياة، ومع شعره الأشقر الثائر ووجه الأبيض الممتلئ بدا كطفلٍ مشاكس أكثر منه شاب في الخامسة والعشرين.

وبكل أريحية سأله، إن كان مرتاحًا على هذا الكرسي أم يفضّل الاستلقاء على الأريكة، فأجابه أنه مستريح هكذا؛ فقد تعب من الاستلقاء على الفراش، وخصوصًا مع وزنه الزائد.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا
ساحر الكتب

تجاهل خالد كل المؤشرات السلبية التي بدأ يوسف في رصدها عن نفسه كزيادة وزنه ثم قال:

- أرى أن حالتك أفضل الآن.
- نعم، قليلًا.
- هل أستطيع أن ألقي عليك بعض الأسئلة ليس لشيء، فقط لأكمل ملفك الخاص.
- نعم، لا مانع لدي، فأنا أيضًا عندي أسئلة أريد إجابتها منك.
- لا مانع فأنا هنا من أجلك.

بدَّل يوسف جلسته وبصره معلَّق بوجه الطبيب المريح ثم قال:

- حسنًا هل تسمح لي بأن أبدأ أنا بأسئلتي؟

أشاح الطبيب بيده ثم قال:

- بالطبع.

وهنا ألقى يوسف السؤال الذي يحيره:

- من أتى بي إلى هنا؟

ولم تكن الإجابة مريحة:

- لا أعلم بالتحديد من ! لكن أتت بك سيارة الإسعاف.

أطرق يوسف بعيدًا ثم نظر إلى الأرض كمن ضاع منه شيء يبحث عنه، ثم أسرع قائلًا:

- ومن طلب سيارة الإسعاف لي؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- مذكور عندي في الأوراق أنه شخص يدعى حاتم، إنك سعيد الحظ لوجوده بجانبك في هذه اللحظة.

أثارت الجملة الأخيرة أعصاب يوسف فقال بلهجة جافة:

- أنا لا أحد بجانبي، ولا أعلم كيف دخل إلى شقتي، وكيف علم بحالي!! وأتى بي إلى هنا ولم هو بالذات!!

بدأ الطبيب يدوّن ملاحظاته.

- إذن.. فأنت تعيش بمفردك؟
- نعم.
- ماذا تعمل؟
- أنا طبيب بشري، وحصلت على دبلومة الطب النفسي بعد تخرجي.
- حقًا ! هذا جيد، هذا سيسهل علينا الكثير، معنى هذا أنك على علم بحالتك؟!
- للأسف نعم..
- بالعكس هذا جيد جدًّا، أجبني فقط على بعض أسئلتي هل من الممكن؟
- نعم تفضل.
- هل خَضعت للعلاج النفسي من قبل؟
- نعم.. وأنا في لندن دخلت مصحة نفسية.
- وماذا كان تشخيصهم يا يوسف؟
- اضطراب ثنائي القطب.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

صمت خالد قليلًا مديرًا الأمر في رأسه.. فما هو مدوَّن بالأوراق نفس التشخيص: الاضطراب ثنائي القطب.. ولكنه قرر أن يبدأ كل شيء من البداية، وكأن هذا التشخيص لا يعنيه.

- حسنًا.. كم ساعة تنام في يومك؟
- تتفاوت، ولكنها لا تزيد عن الثلاث ساعات، وأحيانًا كثيرة تقل.
- هل لديك مشاكل في التركيز؟
- أحيانًا كثيرة.. هناك الكثير من الأحداث تسقط سهوًا مني.
- أها.. هل تتكلم أكثر من المعتاد؟
- نعم.. في نوبات هوسي تكاد تصيب من حولي بالجنون.
- هل طلب منك أحد أن تبطئ في الحديث لأنه لا يفهم ما تقول؟
- نعم.. كثيرًا.
- هل تشعر بضغط ما، يجعلك تتحدث أكثر من اللازم؟
- نعم.. هناك ما يدفعني من الداخل.
- هل تشعر أن لديك طاقة أكثر من المعتاد؟
- نعم.. أنا لا أنام، هل تعلم ما معنى أن يكون عندي 24 ساعة كاملين بدون أن يغمض لي جفن إلا لساعات محدودة.. أصبح شعلة من الطاقة متقدة.

مرت نصف ساعة كاملة وخالد مستمر في طرح العديد من الأسئلة، ويوسف يجيبه بلا ملل، كان يرغب في التحدث حتى ولو عن حالة الطقس، فقط ليشعر بكونه حيًا، بعيدة عن حالة التوهان التي تحيط به، وكانت فرصة لخالد ليستمر في أسئلته التقليدية لمثل هذه الحالة.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا
ساحر الكتب

- هل أخبرك المحيطون بك بأنهم يجدون صعوبة في التواصل معك؟، هل تسير أفكارك بصورة سريعة بحيث تجد صعوبة في ضبطها؟، هل تشعر أنك منهك جسديًا وقلق ذهنيًا أكثر من المعتاد؟، هل صرت تصرف أموالًا أكثر من المعدَّل الطبيعي؟، هل تتصرف بتهور؟، هل تشعر أنك سريع الانفعال والغضب؟، هل تشعر أنك لك مواهب وطاقات خاصة؟، هل ترى أية رؤى أو تسمع أية أصوات لا يشاهدها من حولك؟

كانت الإجابة على جميع تلك الأسئلة بنعم.

وعندما بدأ يوسف يشعر بالإرهاق، توقف الطبيب عن إلقاء الأسئلة، وعاد يتفحص ما دوَّنه من ملاحظات، وهو يتابع نظرات يوسف التي كساها الضيق والإحباط، وكان عليه أن يتحرك، فتقلب الحالة المزاجية عرض معروف ولو لم يتم السيطرة عليه قد يتسبب في انتكاسة:

- إن طبيعة مرضك صعبة في العلاج، ولكنها ليست مستحيلة فلا تبتئس، المرض النفسي كما تعلم ليس مرضًا لا يمكن علاجه .

منحه يوسف نظره مرهَقة، ثم قال:

- أعلم، ولكن ليتني كنت مريضًا بالسرطان على أن أكون مريضًا بهذا اللعين!
- لكل شيء سرطان يا يوسف والاكتئاب هو سرطان النفس.
- ليته كان اكتئابًا فقط.. نوبات الهوس تجعلني أشبه بالمعاتيه.
- لا تقل ذلك.. كل شيء سيكون تحت السيطرة فقط تناول أدويتك بانتظام.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

أومأ يوسف برأسه مؤمّنًا على كلام الطبيب، ولكنه في قرارة نفسه لم يكن مؤمنًا بأنه سوف يتحسن، وعلى عكس ما تمنى، تعكّر مزاجه، وشعر بأن كل شيء حوله يضغط على روحه، وعلى الرغم من عودته لغرفته، شعر بأن هناك من يضغط عليه ليجيب على المزيد من الأسئلة، وبأنه ليس وحيدًا في غرفته، فتسللت لروحه برودة الخوف.

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

دوائرنا المغلقة تؤدي بنا إلى الجنون

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

(2)

تقوقع يوسف فوق فراشه يصارع أفكاره، التي كانت تتبدل وتتهمر على عقله كسيلٍ من النيازك الحارقة، آلاف من الذكريات المختلطة وأحداث يشك في وقوعها وأحداث يوقن أنها وليدة اللحظة، إن علمه بحقيقة مرضه لا تفيده كثيرًا، ورغبته في العلاج تضمحل، كل ما يرغب به الآن أن ينتهي كل هذا الضجيج المؤلم قبل أن يجن، وفي لحظة واحدة أطلق صرخة عالية وتشبَّث بزرّ استدعاء الممرضة التي أقبلت عليه تهرول، ثم مدَّت يدها لتستخلص منه زرّ الاستدعاء قائلة في ضيق:

- ماذا بك؟ اهدأ قليلًا.

أمسك رأسه في ألم، وصرخ بها قائلًا:

- رأسي.. رأسي يغلي لا أستطيع حتى سماع نفسي من كثرة ما يدور به.

قبضت على كتفيه ونظرت له بصرامة قبل أن تقول:

- اهدأ يا دكتور، تناول هذه الكبسولات، لا تستسلم لأوهامك .

نظر إليها في ارتياب.. وكأنه غير مستوعب ما تقوله، وعقله يغلي من الأفكار، فعادت لتقول بنفس الصرامة:

- أنت قادر على المقاومة، يوسف هو أكثر شخص في هذا العالم قادرٌ على مساعدة يوسف، أنت طبيب وتدرك حقيقة مرضك؛ فلا تتعامل كالأطفال.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

هزت كلماتها يوسف، فنظر نحوها للحظة، بعدائية، قبل أن تلين ملامحه، ليتركها تمنحه الدواء؛ فلم يعد قادرًا على الجدال والمناقشة، بل ترك نفسه لها وهو يشعر بالاضطراب فلم يعد أي شيء يهم بعد الآن.

تناول دواءه في استسلام وأغمض عينيه تاركًا جيوش النمل تدغدغ رأسه برتَبَتِها فينام على وقع أقدامها الضعيفة، ويأخذ مساره داخل أوردته وعروقه مستمتعًا بحالة الخدر التي تسري في أوصاله، وذهب إلى عالم مشوَّش مليء بالرؤى الضبابية والألوان الحمراء القانية.

*****

انهمك الدكتور خالد في تصفح ملف يوسف مفكرًا في حالته المتأخرة وما سيؤول إليه حال يوسف وكيف سيتعامل معه ليتم برنامج علاجه من حالة الاكتئاب الحاد، كان يوسف يشبه أخاه الفقيد ضمنيًا؛ فكان يحمل نفس نظرته المستجدية الضعيفة، وهذا كان يشعره بالمسئولية والتعاطف، وإن كان هذا جيدًا؛ فهو قد لا يصبّ في مصلحة مريضه الذي يجب أن يكون حياديًّا في التعامل معه.

قاطع تفكيره بضع طرقات خفيفة يعرفها جيدًا، إنها طرقات وفاء الممرضة المسئولة عن متابعة حالة يوسف، فأذن لها بالدخول، وعلى الفور ابتدرته قائلة:

- دكتور خالد، أريد أن أخبرك بشيء.

نظر نحوها في ضيقٍ لكونها قطعت استرسال أفكاره، ولكنه أصغى لها:

- خيرًا ما الذي حدث؟

بدأ عليها التردد فأشار لها لتتحدث، فقالت:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- أعتقد أن حالة يوسف تتدهور.

نظر نحوها بتعجُّب، وأشار لها لتواصل، فقصّت وفاء عليه ملاحظتها عن حالة يوسف وموقفه الأخير، وكيف أن جلسة الكهرباء الأخيرة لا يبدو وأنَّ لها تأثيرًا على حالته.

شكرها وأثنى عليها لما فعلته معه، ودوَّن ملاحظتها وعاد ليغرق في التفكير، فغادرت وتركت خلفها شعورًا مقبضًا تملَّكه..

القلق.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

تملكت الهلاوس السمعية والبصرية من يوسف، ولكنه وصل مع الوقت لحالة من التقبُّل؛ فكان يندمج معها ليصنع منها عالمًا خاصًا، مليئًا بالأصوات، والتدافعات اللونية المائلة للاحمرار مستمتعًا بها ودورانها حول بعضها البعض، وعندما عاد كل شيء إلى حالته الطبيعية من جديد، رفع تلك الستائر عن عينيه وراح ينظر في الغرفة فكان الظلام قد حلَّ، رفع جسده بتثاقل واستند بظهره على الوسادة، وظلَّ ينظر حوله باحثًا عن نقطة ماء في تلك الغرفة القاحلة؛ فلم يجد إلا الزر بجانب فراشه، صلته الوحيدة بالعالم الخارجي؛ فضغطه باستمرار بنفس الطريقة السابقة المزعجة.

انتبهت وفاء للصوت المزعج ولضوء لوحة الإرشادات المدوَّن عليها أرقام الغرف، لتجد أن من يستدعيها هو نزيل الغرفة 703 يوسف، فهبَّت مسرعة إليه برغم كونها على وشك إنهاء نوبتها والانصراف، وريثما دلفت إلى غرفته باغتها يوسف بنوبة انفعال غير متوقعه:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- هل من المعقول أن مشفى كهذا لا يضع ماءً بجانب مرضاه، هل أنا في معتقل، حتى في المعتقلات يضعون بجانبهم مياه ليحافظوا على حياتهم، أتريدونني أن أموت عطشًا !!

اندهشت وفاء من الحالة الهستيرية التي كان عليها يوسف فبدأت في احتواء غضبه على الفور كما اعتادت في مثل هذه الحالات، وعلى وجهها رسمت ابتسامة ذات مغزى وقالت:

- أعتذر لك دكتور يوسف فورًا، سيكون عندك الماء.

وأسرعت فجلبت له قنينة ماء وكوب، فور أن رآها، اغتصب قنينة الماء منها بعنفٍ ولم ينتظر يسكب منها في الكوب؛ فقد فكَّ لفافتها البلاستيكية وأخذ يجرعها بلهفة من لم يتذوق الماء لبضعة أيام، كل هذا وكانت وفاء محافظة على تلك الابتسامة العجيبة كأنها تمثال من الشمع متسمرة أمام يوسف منتظرة إياه أن يفرغ من تجرع القنينة لعله يطلب قنينة أخرى، وبعد أن انتهى نظر إليها في خجلٍ ووجهه وصدره مبللان ببقايا الماء الذي أغرقهما جراء لهفته الشديدة، ثم قال موجّهًا الحديث لها:

- أعتذر لكِ عما بدر مني؟؟

واصلت وفاء فرض سيطرتها بنفس الابتسامة:

- لا عليك، هل تريد شيئًا آخر؟

ظهر الارتباك على صوته، وكأنه يريد أن يخبرها بشيء ثم تردد، قبل أن يحسم أمره:

- نعم أريد، أنا جائع.

تلاشت ابتسامتها بعد أن أيقنت بخضوعه، وقالت بلهجة تقريرية:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- حسنًا، سآتيك بوجبة العشاء فقد آن موعدها.

نظر لها نظرة شُكر تحمل بعض الانكسار؛ فغادرت بعد أن عادت قسمات وجهها للجمود، فعادت نظرات يوسف تتعلق بالنافذة، وعادت الرؤى لتستولي على عقله، رؤى مصبوغة بلون الدم، وعندما أحضرت وفاء الطعام، تركزت كل أفكاره عليه فالتهمه في نهمٍ ووحشية وكأنه يتناول وجبته الأخيرة، فرمقته وفاء بقلقٍ شديدٍ، خاصة عندما رأته يمدّ يده لشخص غير موجود ليشاركه الطعام، ولكنه عندما بدأ في البكاء الهستيري، لم تتردد وهي تحقنه بتلك الحقنة المهدئة.

وعندما فقدَ وعيه، كانت تدرك أن حالته في تدهور مستمر

******

جلست وفاء تنتظر قدوم زميلتها من غرفة الملابس لكي تسلمها المرضى وتنتهي نوبتها الليلية، وتنصرف لتكمل دورانها في طاحونة الحياة المستمرة التي لا تنتهي. وفاء مثل أي امرأة عاملة تكدح من أجل أن يعيش غيرها وتحظى هي بفتات الحياة لتستطيع أن تكمل مسيرتها اللانهائية.

هي زوجة لزوج غير مبالٍ إطلاقًا لأي شيء يدور في الحياة سوى لمباريات كرة القدم، وأصدقائه الأغبياء، لا شيء على وجه البسيطة من الممكن أن يسترعي انتباهه إلا اهتزاز شبكات مرمى الخصم بهدف مدوي، وبعض النكات التافهة التي يصدرها أصدقاؤه، شخص اتكالي لأعلى درجة ! مما كان يزيد من الضغط عليها، ولولا عملها في مشفى خاص للأمراض النفسية ما كانت لتستطيع أن تستمر على إبقاء طفلها على قيد الحياة؛ فراتبها بالكاد يكفيهم حتى يظلوا مقيدين في كشوف الأحياء بدرجة أموات.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

غفت وفاء على مقعدها لدقائق بعد أن غلبها الإرهاق وذكريات القهر، وأيقظتها وكزة من صديقتها منبهة إياها أن المريض الذي يقطن الغرفة 703 له فترة يضغط على الزر الخاص به، نظرت لها بتأفف مشيحة بعينيها بعيدًا عنها على غير عادتها، ثم قالت:

- لقد انتهت نوبتي فلتذهبي أنتِ له لتأخذي نصيبك منه اليوم، أما أنا فقد اكتفيت منه ومن غيره فتصرفاتهم ستصيبني بالجنون يومًا ما.

ردت عليها ابتهال، المرأة الأربعينية وهي تضحك فتزيد من تشققات وجهها وعلامات تقدُّمها في السن التي غزت بشرتها مع الفقر الذي لا يرحم؛ فجعلت منها أرضًا جرداء خالية من تقاسيم الحياة:

- حسنًا سأذهب لأرى ما هي قصة ذاك المريض الجديد!

وقبل أن تنصرف صكَّ أذنيها صوتُ وفاء وهي تلملم متعلقاتها:

- ابتهال لا تنسي أن تلقبيه بالدكتور قبل أن يلكمك لكمة مميتة، وأنتِ لم تعودي قادرة على ذلك.

ارتسمت على وجهها ملامح القلق، فأكملت وفاء ووجهها يحمل ابتسامة خبيثة، أظهرت كراهيتها لابتهال:

- فقط تذكري أن دكتور خالد مهتم به.

لبَّت ابتهال نداء يوسف، وقد زايلها بعض القلق، ولكن رؤيتها له جعلت مخاوفها تتلاشى وخاصة عندما وجَّه إليها حديثه قائلًا:

- أهلًا بكِ سيدتي، أين وفاء هانم؟

نظرت له ابتهال في نظرة استغراب ثم حدَّثت نفسها (سيدتي، هانم هل يسخر مني هذا المريض أم ماذا؟!)

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- لقد انتهت نوبتها منذ قليل ، هل لي بسؤال؟
- تفضلي، بكل سرور!

ما كل هذا اللطف.. حدَّثت نفسها من جديد.

- ماذا فعلت وفاء لكي تتهكم عليها وتنعتها بـ (الهانم)؟

ضحك يوسف من سؤالها، وأيقن أنها تريد أن أن تمسك ذلة على وفاء، معتقدة أنها قد صدرَ منها خطأ ما.

- لم تفعل شيئًا، هذه طريقتي في التعامل مع المرأة بشكل عام! فهي تستحق ذلك.

كانت المفاجأة لا تزال مرسومة على وجهها، وهي تؤدي أعمالها بطريقة ميكانيكية؛ فمنحت يوسف الدواء دوَّنت في يومياته الطبية بعض الملاحظات، وبداخل عقلها استرجعت كلماته، (هانم هههه هذه طريقته في التعامل مع النساء، إذن فزوجي لا يجيد التعامل فهو لا ينعتني إلا بأم العيال !!)

أنهت عملها مع يوسف، وغادرت على الفور بعد أن زال قلقها من حالته، وعبث وفاء، في حين ارتسم الوجوم على وجه يوسف، وهو يتأمل تفاصيل غرفته التي تشبه الزنزانة، وعقله يغرق من جديد في الهلاوس، وهذه المرة وجد نفسه على حافة هاوية مظلمة، وكان عليه أن يتخذ القرار.

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

عندما يكون الحاضر سيئًا..

والمستقبل مجهولًا..

علينا الرجوع إلى الماضي..

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(3)

استيقظ يوسف من نومته التي لم يكن ليتمنى أن يستيقظ منها، أزال غبار النوم من عينيه في تثاقل بعد أن أيقن أنه مازال على قيد الحياة، تأفف ثم نظر حوله في استياء؛ فقد كان لابد له من النهوض ليلبي نداء الطبيعة محدثًا نفسه: (ياله من روتين ممل، أكل ونوم وقضاء حاجة لم لا أموت فقد سئمت).

في ذلك الوقت دخلت الممرضة ابتهال، الغرفة، حاملة وجبة الإفطار فلم تجده فوق فراشه، فنادت عليه بشيء من الريبة:

- دكتور يوسف، أين أنت؟

تأفف يوسف وهو داخل المرحاض محدثًا نفسه مرة أخرى بخفوت: (ألا يستطيع المرء أن ينعم بشيء من الخصوصية في هذا المكان)، تحرك وفتح صنبور الماء ليغسل وجهه ثم خرج مخاطبًا ابتهال:

- مريض مغلق عليه باب الغرفة بالمفتاح، ولا يوجد مخرج له غيره، نافذة الغرفة الوحيدة مسيَّجة بسياج حديدي لا يخرج منه إلا فأر مذعور، فأين تعتقدين يا سيدتي كنت سأذهب سوى للمرحاض.

نظرت له ابتهال في وجل وهي تقيس حقيقة انفعاله ثم قالت:

- أعتذر منك يا دكتور، هذا من قلقي عليك ليس أكثر فلا تفسره بشكل خاطئ.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

هز رأسه علامة التفهم وهو يضع منشفته في تأنٍّ بعد أن لاحظ قلقها ثم قال لها:

- بل اعذريني أنت على انفعالي، فتلك الأدوية تعبث بأعصابي.

لم ترغب ابتهال في استكمال المحادثة، وأشارت ليوسف على طاولة الإفطار وقالت:

- وجبة الإفطار يا دكتور، لو أردت شيئًا آخر فأنت تعرف كيف تطلبها.

كانت تحدثه بحذر، فلم يرد عليها، ولكن سألها إن كان الدكتور خالد موجودًا؛ فإنه قد وعده بأنه سوف يلقاه اليوم، فأجابته بأنه في انتظاره ريثما ينتهي من تناول الإفطار.

*****

يفضل الدكتور خالد أن يحضِّر قهوته الصباحية بنفسه، فلم يكن يستسيغ القهوة التي تصنعها الممرضات في المصحة، دائمًا هي كريهة ولزجة ولا وجه لها، والقهوة بالنسبة له هي التركيز وصفاء الذهن وشمس يومه، ولا يبدأ يومه إلا بها، فكان يستمتع برائحة النضج ومراحل صنعها، لذا كان يكره الإزعاج في هذا التوقيت بالذات، وعندما فاجأته طرقات الباب، اكتسى وجهه بالضيق، وعندما رأى الطارق، كانت إجابته عصبية:

- ماذا هنالك يا ابتهال؟!

وعندما همت بالرد استطرد في سرعة وضيق، وهو يصب السائل الساخن بحرص في القدح، ليصنع وجهًا رائقًا:

- هل تعلمتِ أن تطرقي على الباب فقط، ولم تتعلمي أن يؤذن لكِ بالدخول؟!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- أعتذر يا دكتور، لم أقصد بالطبع أن...

قاطعها في ضيق مشيحًا بيده:

- حسنًا، هاتي ما عندك.

ترددت للحظة ثم اندفعت قائلة:

- مريض الغرفة 703 يوسف، لا يتوقف عن إزعاجي بسبب موعده معك، ووفاء لم تسجل أي بيانات بخصوص موعد مماثل.

طرق خالد على المكتب بقلمه الذي كان يمسكه على المكتب، وغرق للحظات في تفكير عميق، إن إلحاح يوسف وإصراره على مقابلته مؤشران جيدان بالفعل، ويدل على أنه قد حاز ثقته أو اهتمامه، وهذه خطوة جيدة في طريق العلاج؛ لذا فإنه قرر أن يستغل هذه الهدنة النفسية التي تمر بيوسف، وقرر استغلالها على الفور، فقال لابتهال:

- وفاء لم تكتب شيئًا لأني لم أحدد موعد بالفعل، أحضريه إليَّ على الفور.

كان يوسف يتوسد فراشه عندما أخبرته ابتهال أن يتبعها، ومن داخله كان يشعر بأن جريان الأمور بمثل هذه الطريقة حماقة، إن مرضه عنيف وغير مستقر، وقد ينقلب مزاجه من النقيض إلى النقيض في لحظات؛ فلماذا يتم التعامل معه بمثل هذه الطريقة غير الآمنة، أم هو جزء نفسي من العلاج.

الإهمال كان الفرضية المقنعة، فهو كطبيب لن يرى عمل أي طبيب آخر كاملًا.

قطع الردهة خلف ابتهال بخطوات بطيئة وكأنه يمنح لنفسه مساحة من الوقت للتفكير، إنه يدرك جيدًا أن حالته تتدهور، إنه يشعر بأنه يتبدل من

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

الداخل، وكل هذا يصبّ نحو نهاية واحدة، الفرار من هذا العالم، ولكنه لم يمتلك الشجاعة بعد للإقدام على خطوة مماثلة.

كان مؤمنًا بالله لذا كان يقتله كم الأسئلة التي لا إجابة عليها.. لماذا اختصه هو دون كل من حوله بهذا المرض المعقّد الذي لا شفاء منه سوى بتلك العقاقير المزعجة، لماذا لا يساعده؟! ولماذا لا يشعر بأنه يهتم به؟

زفر زفرة حارقة من رئتيه اللتين كادتا تحترقان من وهج النار الذي يمتلئ به قلبه، وفي هذه اللحظة وجد نفسه مع ابتهال أمام غرفة الدكتور خالد منتظرًا الإذن لهما بالدخول، فقد تعلمت ابتهال الدرس هذه المرة.

أذن لهما خالد بالدخول، وعلى غير العادة، استقبل يوسف باحتفاء وكأنه يقابل صديقًا قديمًا.

- أهلًا دكتور يوسف، كيف حالك الآن؟
- أحمد الله، ولكني أشعر أني لست بخير.
- ستكون بخير، أنت تعلم ذلك.
- أعلم ذلك من الجهة العلمية، ولكن حين يتعلق الأمر بك تصبح لا تعلم شيئًا سوى أنك لست بخير.
- ولكني متأكد أنك ستتحسن..لا تقلق، هلّا بدأنا الجلسة؟!
- لا مانع لدي، فأنا أشعر أني أريد أن أتحدث أكثر من أي يوم آخر.
- جيد، من أين تريد أن تبدأ؟
- أريد أن أبوح بكل ما في قلبي، أريد أن أجتر كل ذكرياتي الجميلة والمؤلمة، الذي عشته والذي لم أعشه، لعلي أجد فيها أي إجابة لما أعانيه الآن.

رفع خالد فنجانه الذي قارب على الانتهاء، ثم ارتشف منه رشفه أخيرة ثم نظر إلى يوسف الذي تعلقت عيناه بالقدح، ثم قال:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- ما رأيك بفنجان قهوة نشربه سويًّا، أنت تحكي كل شيء وأنا أنصت!

راقت الفكرة ليوسف؛ فقد اشتاق إلى قدح قهوة صباحية، وأجابه بالموافقة الممزوجة بابتسامة ممتنة.

وهذه المرة أعدَّ خالد القهوة لفردين، وعندما منح يوسف قدحه، راح يشتَمُه بشغفٍ ثم أخذ نفسًا عميقًا، لتتغلغل الرائحة إلى كيانه قبل أن تعانق شفتاه القدح.

وبعد عدة رشفات انحلت عقدة لسان يوسف، فقال:

- هل تعلم أنني قلما رأيت الشمس في طفولتي، كنت أشتاق إليها كطفل يشتاق إلى حضن أمه الفقيدة، شمس في لندن معناها أن هناك نزهة مليئة باللهو والمرح، معناها الحرية قبل هجوم جيوش الضباب، الشمس كانت عزيزة وأيضًا كل شيء آخر.

صمت للحظات، فابتدره خالد مشجعًا ليواصل حديثه:

- إذن البداية كانت في لندن!

رشف يوسف رشفة جديدة من قدح القهوة الساخن، ثم شرد للحظات وقال بصوتٍ عميقٍ:

- لا، أبعد من ذلك بكثير، قبل أن أُوجَد على ظهر هذه الأرض!

* * *

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ليس هناك أصعب من أن ينبش أحدٌ بأكفان جراحك
التي قد أخفيتها داخل قبرٍ تسميه قَلبَك

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

(4)

- "ضياء الدين"، هذا اسم أبي.

قالها يوسف موجهًا الحديث لدكتور خالد، وعقله ينسحب إلى الماضي، ويستعيد تلألأ من الذكريات المضطربة، ليتحرك لسانه بالكلمات، في حين كان وعيه في مكانٍ آخر، فقال:

كان أبي ضياء الدين يتيم الأب، من أسرة ميسورة الحال، عكفت أمه على تربيته هو وأخيه نور، حتى تخرج من كلية العلوم، وكان قبل وفاته مولعًا بالتاريخ فآثر أن يسميهم بأسماء شامخة مثل شخصيات العصر الفاطمي.

عندما بدأ وعي أبي يتشكل، ويدرك ماهية الحياة، كان أبوه قد توفاه الله، كان وقتها يبلغ من العمر سبع سنوات، وأخوه كان يكبره بعامين فقط. فاحتضنتهما جدتي وعكفت على تربيتهما على أحسن ما يكون، فقد كانت لها شخصية قوية وغير قابلة للانكسار، لم تكن كباقي الأرامل ممن يضعن أكفهن على وجوههن لا حيلة لهن؛ فقد كانت تعلم جيدًا ماذا تريد أن تفعل وكيف تفعله، وكان يسندها ما خلفه لها جدي من ثروة ومركز اجتماعي.

قوة شخصيتها كانت بارزة جدًا، وسيطرتها على أبي كانت تزيد في كل مرحلة من مراحل حياته؛ فكل شيء كان بالأمر والنهي، افعل ولا تفعل، أين ستذهب ومتى ستأتي، استذكر دروسك، ولم لم تبلِ البلاء الحسن في ذلك أو تلك؟

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب على الفيسبوك اضغط هنـــا

ضايق الأمر أبي في البداية ثم استكان له، وراقه أن تنظم أموره وتحيطه بكل هذا الاهتمام ، حتى جاء ذلك اليوم الذي أخفق فيه في مادة التاريخ.

وكان ذلك شيئًا ليس بالهين على ابنٍ لأبٍ كان عاشقًا للتاريخ وأستاذًا جامعيًا له، وفي هذا اليوم تلقى صفعته الأولى من جدتي.

كان ابن أربعة عشر ربيعًا، عندما رجَّ كيانه هذا الاعتداء الصارخ، تفاجأ ولكن لم ينهها أو يمنعها بل حتى لم يغضب منها أو تثور ثائرته كعادة باقي أقرانه عندما يصفعون ويشعرون جراء هذا العمل باهتزاز رجولتهم النامية، فقط شعر بتأنيب الضمير لأنه أهمل في استذكار دروسه، ولأنه خَيَّب أمل أمه فيه وليس أمه فقط بل أبيه أيضًا الراقد في قبره .

كان يجلس وحده كثيرًا يسترجع صفعة أمه له، وجعلها حافزًا له في أن يحرز تقدُّمًا في مادة التاريخ رغم عدم حبه للمواد الأدبية.

وبالفعل أحرز تقدمًا وجعلها تفخر به، لقد اعتاد أن تكون الصفعات منهًا له ومحفزًا لم يجعل منها أداة إهانة، واجتاز المرحلة الإعدادية، ودخل المرحلة الثانوية، ونبت الشعر في وجهه وتأججت بداخله كل هرمونات المراهقة، وبدأت علاماتها وأفاعيلها تعبث بجسده؛ فكان يحلم باليوم الذي سيحظى فيه بعلاقة جنسية أيًا كان نوعها، ولأنه لم يكن يجرؤ على فعلها فقد آثر أن ينتهج طريقًا مختلفًا عبر الهاتف.. مثل الكثيرين في تلك المرحلة.

فكان يستخدم أرقامًا عشوائية، وينصت لمن يجيب فلو كان رجلًا يغلق الخط، ولو كانت أنثى يحادثها ويراودها عن نفسها، وفي البداية كان يُقابل بالسباب اللامتناهي.

والعجيب أنه لم يكن يغضب أو تثور ثائرته بل وجد ذلك ممتعًا؛ أن يستمع إلى السباب في نشوة عارمة ثم يغلق الخط، وتلك كانت كل متعته في

زيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

المرحلة، أن يختلي بنفسه ليمارس العادة الخفية، وهو يسترجع كلمات السباب المثيرة التي كانت تنهال عليه من صوت أنثوي صاخب يملؤه السطوة والعنف، حتى يصل لقمة النشوة وتتقطع أنفاسه وتنتفض فرائصه، ثم يهدأ ويعود لسكونه من جديد.

ولطالما جلس مع نفسه ليفكر، كيف للسباب أن يترك في نفسه تلك الإثارة ويصل به إلى قمة النشوة؛ فلم يكن يجد إجابة على تساؤله !!

وكان يغمض عينيه بأن يقول:

- ولم لا؟، لا ضير في ذلك .

مرت المرحلة الثانوية في أمان، ودخل كلية العلوم وتفوَّق بها رغم رفض والدته من الأساس في أن يدخل القسم العلمي، ولكنها رضخت في النهاية أمام نتائجه العلمية المرتفعة.. ونظرًا لتفوقه جاءته بعثة علمية من الجامعة.. ولم يكن أمام أمه المتسلطة سوى الرضوخ مرة أخرى أمام رغبته في القيام بتلك البعثة، فقد كانت في ذلك الوقت فرصة لا تعوَّض.

قبلت الأم على مضض سفره مع لائحة من الممنوعات والتعليمات التي لا تنتهي، والتي استقبلها بصدر رحب؛ فليس هناك أجمل من أن تشعر أنك مغطى بسقف يحميك وتعيش تحته طواعية غير مكترث بما سيحدث بالخارج؛ فهناك من سيعتني بك في النهاية.

وهنا بدأت رحلة أبي في لندن.

نظر الدكتور خالد إلى يوسف بشغفٍ حائًا إياه أن يكمل، وكان يوسف يتحاشى بعض الشيء النظر إلى خالد لأن ما حكاه برغم شذوذه يُعتبَر أبسط ما في قصته، أما الأعظم فسيأتي عندما سيخوض أكثر في ذكريات

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

أبيه والذي يعتبره مثله الأعلى، وينهج نهجه ويشعر بكل ما شعر به ومقدرًا لكل شيء مرَّ به. ومؤمنًا بمبادئه حتى النخاع، برغم ما فعل..!

استجمع يوسف أنفاسه، ثم أكمل:

استمرت حياة أبي فترة من الزمن في لندن بدون أي منغصات، سواء في الدراسة أو العمل الجانبي الذي التحق به؛ فقد كان شعلة ذكاء ونشاط، إلا أنه كان يشعر بالافتقاد، كان يفتقد جدتي كثيرًا ويحن إلى لحظة يبكي فيها تحت قدميها وترفعه إلى أحضانها ثم يبكي كالأطفال غير مبالٍ بأي شيء.

كان الفراغ العاطفي الذي يعانيه مؤرقًا له على مدار سنته الأولى التي قضاها في مدينة الضباب؛ فكانت أجواء تلك المدينة تبث البرودة في أوصاله وتيبسها؛ فكان محرومًا حتى من دفء الشمس، وكان دومًا يحدث نفسه (ما هذه الحياة الباردة؟!) ولكنه كان يتغافل عن كل ذلك بحياته العملية ومستقبله فكان حريصًا على أن يحقق الهدف الذي أتى من أجله.

كل شيء سار طبيعيًّا حتى التقى بروزالين !!

روزالين هي أمي، وكانت من النوابغ في علم الكمياء؛ فقد أحرزت تقدُّمًا في دراستها جعلها تسبق أقرانها، وأصبحت معيدة في الجامعة وهي في عمر العشرين، كانت تتمتع بكل المقومات التي هيأتها لتصبح قيادية، وكان أبي يجتمع بها كثيرًا لأنه كان يعمل تحت إشرافها في بحثه؛ فكان اللقاء بينهما متواليًا مما أتاح له القرب منها أكثر، ووجد فيها كثيرًا من صفات أمه، ولكن على نسخة إنجليزية؛ فكانت أكثر سطوة وقوة وسيطرة، فانجذب لها.

كانت من ذلك النوع الذي يثير غرائزه ويشحذ نشوته من مكامنها؛ فقرر أن يتقرب منها أكثر، وهي بكل بساطة وعفوية تسللت إلى قلبه بدون أن يشعر بذلك أو حتى يمنع زحفها تجاهه.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

كانت الشمس التي كان يتمنى أن تنير حياته، تلك الشمس التي كان يرنو إلى الاقتراب منها حتى وإن أحرقته أشعتها؛ فكان مشتاقًا إلى نشوة الألم التي عشقها مع سطوة أمه وسباب نسائه في الهاتف، فكان مثل مصباح بدائي به كيروسين ولكن فتيلة اشتاق إلى أن يلهبه عود ثقاب، ولا يقلقه أبدًا أن ينتهي فتيله ويخبت ويخفت نوره فليس ذلك المهم.. المهم أن يشتعل!

أخذ يخطط للقاء معها وكيف يفاتحها وهل ستقبل به.. كان الخوف يسيطر عليه، ولكن عينيها كانتا تنادياته في كل مرة تنظر فيها إليه، فكان يشجع نفسه بابتسامتها له عندما يحسن في الوصول إلى نتيجة معينة ويفسرها على أنها معجبة بشخصه لا بعلمه فقط، كما هو معجب بها.

تعلق بها لدرجة أن قلبه كان ينتفض كلما سمع وقع حذائها ذي الكعب العالي على الأرض، فكان نقره كموسيقى على جدار قلبه الملتاع؛ فظل فترة زمنية طويلة يراقبها، إلى أن علم المكان التي تتناول فيه طعامها اليومي المعتاد؛ فقرر أن يغيّر مكان تناوله الطعام من أجلها، ويذهب إليها حيث تكون .

وذات يوم كان ينتظر قدومها إلى المطعم الراقي، فأتت كوردة متفتحة في سفوحٍ من ثلج، شامخة يشوب وجهها الأبيض بعض الحمرة من آثار البرودة زادتها إغراءً، شفتاها رفيعتان ناعمتان، عليها بعض الحمرة الرائقة المتماشية مع زرقة عينيها الصافيتين، فكانت عيناها كبحر رائق وأحيانًا عاصف وكم عشق ثورة أمواجه.

وفور أن استقرت على مقعدها وبدأت بمطالعة كتاب Physical Science، حتى توجَّه إليها وجِلًا. اقترب منها خجلًا دون أن يجرؤ على إزعاجها أو قطع استغراقها في الكتاب، وظلّ واقفًا متحفزًا لعلها تلحظ وجوده.. سيطر عليه

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

خجله وتلبَّسه كعفريت منعه من الحراك وألجم لسانه . وبعد دقيقة كاملة انتبهت لوجوده.

والحقيقة أنها كانت منبهرة بشخصية المصري القادم من أرض الفراعنة فابتسمت له قائلة:

- ضياء ما الذي أتى بك إلى هنا؟!
- أتيت لأتناول طعامي، فهل تسمحين لي أن أكون رفيقك اليوم؟!!
- بالطبع تفضل.

جلس قبالتها وعيناه معلقتان بملامحها لا تخلفها، فشعرت بخجل من نظراته التي اخترقتها بلا خجل فقالت:

- ألن تطلب طعامك؟!

انتبه إلى خجلها فأمسك بقائمة الطعام في توتر ثم استجمع نفسه وقال محاولًا كسر جمود الموقف:

- هلا تساعديني، فأنا أريد اليوم أن آكل شيء به نكهتك؟

احمرت خجلًا فتوهج وجهها بحمرة فوق حمرة البرودة التي تصفع وجهها ولكي تخرج من تلك الحالة نادت النادل لتملي عليه بطلبٍ، ثم نظرت له بنظرة يملؤها الحياء، ولكن كانت كلها سطوة..

تلك النظرة المسيطرة التي لا تعلم هل هي تناديك أم تبعدك.. تحررك أم تعتقلك.. نظرة ساحرة، سحرته بحق وتركته تحت وطأة تعويذتها السحرية وانشغلت بتناول وجبتها، وكانت كلما رفعت عينها قليلًا تجده منخرطًا في النظر إليها، وكانت هي تراوغه؛ فمرة تحتوي نظرته ومرة تهرب منها، وغرق

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

هو في تفاصيلها حتى أنه لم يتناول طعامه الذي أحضره النادل إلا عندما نبّهته لوجوده.

وتوالت اللقاءات بينهما فوجد فيها أبي ضالته، ووجدت هي فيه حلمها برجل ينتمي إلى الشرق وحضارة السبعة آلاف عام، رجل يعشقها بل يعشق التراب الذي تخطو عليه بقدميها، نظراته لها تحمل ألف معنى، فحولته بادية، ويده سخية، كما أنه لم يكن يتذمر من انفعالاتها المفاجئة ولا فقدان أعصابها، ولا قبضتها النفسية التي بدأت تسيطر على كل تفاصيل حياته، بل كان يهيم بها ويقدسها.

وفي لحظة قرر أن يطوّر العلاقة ويصارحها، فروحه وجسده يحترقان، حجز لها في مطعمSketch وهو من أغلى مطاعم لندن، وحفظ الحوار الذي سيلقيه ورددّه أمام المرآة ألف مرة، كان يأمل في مصارحته لها بحبه وعرض الزواج عليها.

قبلت هي دعوته، وأقبلت عليه يومها كأميرة بل كملكة متوَّجة تتهادى على بساط المطعم الأحمر كنجمة تدلت من السماء.. كانت في نظره أجمل من كل نجمات هوليود اللواتي يتهادين وهن في طريقهن لاستلام الأوسكار، سحب لها كرسيها وأجلسها كإنجليزي راقٍ، مبهورة بوسامته في حلته الرسمية، وبطريقته المثالية في استقبالها، وكيف أنه قام بالحجز في ذلك المطعم ذي التكاليف الباهظة، والذي يطلق عليه متحف قلب المدينة، والذي أثار بهجتها أكثر هو ظهور عازف الكمان أمامها ليعزف مقطوعة تعشقها كمشهد في فيلم سينمائي لتترقرق أنغامه على ضفاف قلبها وعلى ضوء الشموع.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

التهمته عيناها وهي تتساءل بأعماقها أي رجل أنت؟!! ومن أي عصر جئت؟!)

وفي لحظة حاسمة أوقفها أبي ثم ركع على ركبته مستندًا على الأخرى في خضوع وتقديس، وأخرج من سترته علبة سوداء مخملية الملمس، وبكل أناقة فتح العلبة المخملية مبرزًا خاتمًا ماسيًا باهظًا، ورفع رأسه متوجهًا إليها بالحديث كعبدٍ يحدّث ملكته قائلًا:

- مولاتي، هل تقبلينني زوجًا لكِ؟!

سحبته من يده ليقف بمواجهتها، قبل أن تجذبه إليها محتضنة إياه، قبل أن تقول بصوت متهدج، مضطرب من هول المفاجئة:

- بالطبع موافقة يا ضياء موافقة.

وهنا عزف الكمان وهو يلبسها الخاتم، قبل أن تبدأ رقصتهما، ويدور بها في المكان، لتشعر حينها كأنها فراشة طائرة وكان هو جناحيها .

ومن هنا بدأت الحياة بينهما، وأيضًا بدأت المشكلات على صعيد أبي العائلي.

قالها يوسف ثم صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه، قال متسائلًا:

- هل لي بكوب من الماء، فقد جف حلقي.

منحه خالد زجاجة مياه معدنية باردة لينهل منها يوسف، قبل أن يتراجع يوسف بظهره على الكرسي طلبًا لبعض الراحة .

وهنا قال دكتور خالد متسائلًا:

- هل تريد أن تستريح قليلًا على أن نكمل غدًا؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- كم أود أن أستريح من كل ما أحمل؛ فهل عندك أنت الوقت كي تسمع باقي قصتي؟!

نظر خالد في ساعته، ثم ظهر بعض الضيق على وجهه وقال:

- إنه موعد مروري على المرضى.. سأنتهي من أعمالي ثم سيكون لنا لقاء آخر، فما رأيك؟

شعر يوسف بضيقٍ مماثل لضيق خالد لأنه كان يرغب في المزيد من البوح، ولكنه في النهاية قال:

- حسنًا، لا مانع.

ضغط خالد على الزر مستدعيًا ابتهال التي اقترب موعد انتهاء نوبة عملها، ولم يمضِ وقت طويل حتى أتت لتدفع مقعد خالد المتحرك نحو غرفته ولتساعده ليستوي فوق فراشه، ولتغادر هي في عجالة لتنتهي من تسليم العمل لمن يليها، وريثما أغمض يوسف عينيه حتى سمع صوتًا مختنقًا يناديه:

- يوسف.

نظر بجانبه لم يجد أحدًا، ظلَّ يبحث دون جدوى.

تكرر النداء مرة أخرى، فكان الصوت متحشرجًا لم يستطع أن يميزه.

- يوسف.. أنا هنا ألا تراني!!

وفي هذه اللحظة نظر إلى أعلى فوجد جسدًا متدليًا من سقف الغرفة تخرج منه خيوط من الدخان، كان ضبابيًا بعض الشيء، ولكن لم يكن من الصعب التعرف عليه ، وما إن وقع بصره عليه حتى صرخ في فزع:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

- لا..لا ليس من جديد، ابتعد عني، أرجوك ابتعد.

أغمض يوسف عينيه وهز رأسه ليطرد المشهد المفزع، إلا أن المشهد أخذ يتكرر أمامه في كل أرجاء الغرفة وكأنما يتم نسخه بأحجام مختلفة: فوجد ذلك الجسد معلقًا على الحائط ومتدليًا من النافذة، ومثبتًا على الباب يلفه الضباب، وخيوط من الدخان تتطاير حوله بذلك الحبل الملفوف على رقبته، بعينيه الشاخصتين، وفمه المفتوح، ووجهه المحتقن المائل للزرقة وقدميه المعلقتين في الفراغ.

اندفع يصرخ وتعالى نحيبه وأغرقته دموعه قبل أن يتكوم في فراشه كجنين يختبئ في بطن أمه، ثم بدأ جسده في الاهتزاز من جديد وتعالى نحيبه أكثر فأكثر إلى أن وصل لعويل يزلزل الجدران. وهنا هرعت إليه ابتهال على الفور، وما إن رأته حتى ضغطت على الزر المجاور له مستدعيةً الممرضين معها لتسيطر عليه.

وبكل صعوبة، سيطر الممرضين على جسده المتصلب، وبسطوا جسده فوق الفراش منهيين تلك الوضعية الجنينية وقاموا بربطه من جديد بتلك الأربطة الجلدية المزعجة، وحقنته ابتهال بعقار "نيوريل" في أوردته حتى يهدأ ويستكين، وكانت تلك الحقنة تذكرة سفر له داخل كرات من الألوان الحمراء تحمله وتذهب به بعيدًا من جديد، ماحية ذلك الصوت الذي كان يتردد في عقله متسائلًا:

- يوسف.. أنا هنا ألا تراني !!

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

عندما يكون الحب مختلفًا..

ويشعل نيران الجنون داخل عقلك..

فلن تجد سوى الحنق تجاهه من الآخرين

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

(5)

وفي صباح اليوم التالي، وعندما استطاع جسده الفكاك من قبضة المهدئ، فتح عينيه ثم أغمضهما على الفور، خوفًا من أن تهاجمه هلاوسه من جديد، استند على وسادته ثم بدأ يفكر.

ترى هل كان ما رآه حلمًا مزعجًا أم مجرد مجموعة من الهلاوس المقيتة؟!

لقد كان يقظًا، إذًا الأمر ليس مجرد هلاوس عقل باطن، أهو شعور بالذنب، أم هو الجنون؟

شعر ببعض التشوش، بل الكثير منه، وعاد من جديد يفكر فيما صارح به طبيبة، وهو يجتر ذكرياته وما قرأه في مذكرات أبيه المفصلة التي جعلته بكل دقائق حياة أبيه وكأنه عاصرها بنفسه، كانت كنزًا عجزت روحه وحدها عن احتواء تفاصيله فشاركها مع طبيبه.

قطع حبل أفكاره طرقات الباب التي كانت تنبئ بموعد الإفطار، وموعد تناوله أقراصه التي تحافظ على ثبات مزاجه نوعًا ما، فاستقبل وفاء وهو شارد الذهن؛ فقد كانت تتبادل النوبتجيات الليلية مع ابتهال حتى تستطيع أن تهتم بولديها؛ فكان هذا هو عملها الوحيد الذي يمنحها القليل من العيش الآدمي والذي كانت تقبله على مضض.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

دخلت الغرفة على يوسف، وهي ترسم ذات الابتسامة الخالية من أي روح، لتنفذ تعليمات المستشفى، فيجب عليها أن تقابل المرضى النفسيين بوجه غير عابس، أليست ملاكًا للرحمة.

وضعت صينية الطعام منبهة إياه أن يضغط على زر المناداة بجانبه ليأخذ دواءه فباغتها قائلًا:

- ولم لا تتركيه مع الإفطار دفعة واحدة بدلًا من أن أناديك مرة أخرى؟!

كانت تعلم أن طلبه ليس متاحًا؛ فمن الممكن أن يراوغ أو يخادع، ولا يتناول الدواء وتنتكس حالته، مما سيضعها في مشكلة هي في غنى عنها، ومع حالة يوسف المتقلبة لم تكن لتجازف، فأجابت بصوت بارد، وبداخل عقلها يتردد صوت خبيث (كان غيرك أشطر):

- تعبك راحة يا دكتور، أهم شيء أن تكون في أتم صحة.

تركته وأغلقت الباب، لم يكن له رغبة بالطعام، ولكنه تناوله لا إراديًا على مهل بنفس تائهة وروح عالقة بالماضي مركزًا ناظريه في الفراغ، ليراها مرسومة على الحائط وهي على فراشها موصولة بتلك الأسلاك تنظر إليه من خلف زجاج بعيد، وكأن الحائط له بعد ثالث وهي مستكينة بداخله.

ابتسم ابتسامة باهتة وهو يلوك اللقيمات الضئيلة التي يتناولها في فمه حاثًا إياها على أن تذهب حيث مسارها، ولكنها تأبى فيتجرع قليلًا من الماء خلفها غاصبًا إياها أن تترك فمه؛ فقد تعب من الضغط عليها بأسنانه، وفي النهاية نفض يديه من فتات الخبز العالق، وبعدها جلس على فراشه وهو ينظر في تثاقل إلى ذلك الزر المستكين بجانبه منتظرًا إشارة منه ليتناول دواءه ويذهب معه إلى عالم البعد الثالث الغائر في حوائط غرفته، علها تأخذه عبرها كمن يمرون عبر الزمن إلى من يريد لقاءهم وانتهت أزمانهم

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

ضغط الزر فأتته وفاء مسرعة تلقمه الدواء في عجل، وتأكدت أنه ابتلعه، وتركته بعدها وحيدًا يتلمس الحائط ويتمنى أن تغوص يده بداخله ليلمسها مرة أخرى، وتارة أخرى يقترب بأنفه منها لعلّه يشتم رائحتها، وتارة أخرى يتحدث معها وحينًا آخر يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا ثم نطقها بهدوءٍ وهو ينظر إليها نظرة منكسرة.

- اشتقت إليكِ.. هل تعلمين ذلك لم يكن عليكِ أن تتركيني هكذا !!

أجابته بصوت منهك متهدج:

- لم يكن لي في الأمر شيء.

وضع يده على صورتها المتجسدة ذات البعد الثالث الغائرة في الجدار، وكأنه يقف خلف زجاج يرى آثار بخار يده يطبع عليه ثم طبع قُبلة كأنما يقبّلها من جديد وهي على فراش الموت.

خرجت أنفاسه متهدجة، وقال بصوتٍ مرتعش:

- لِم تركتيني وحدي.. لم أجد امرأة مثلك تحتويني، كم أحتاج إلى لمسات من يدك على رأسي، ودفئها على وجنتي فلم يعد يدفئها سوى الدموع الساخنة.

ثم زفر زفرة شعر أنها ألهبت صدره، ثم قالها وجعًا:

" أحتاااااااااااااااجكِ، كم أشعر بالضيااااع بدونك"

جلس في ركن من أركان الغرفة وعيناه معلقتان بحبيبته الراحلة، ضامًا ركبتيه إلى صدره مغلقًا عليهما بكلتا يديه مستندًا برأسه على الحائط، وما

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

إن استكان حتى ذهب في غفوة، طارت روحه التائهة تجوب السماوات الدنيا لتلتقي بمن تريد أن تلتقي، وتنفر ممن تكره، وتسبق الزمن، وتعود مرة أخرى إلى جسده إن حان لها أن تعود.

*****

وسرعان ما استفاق على يد وفاء التي أتته لتخبره بموعده مع طبيبه، والتي قلقت عندما وجدته غافيًا على تلك الوضعية فتساءلت:

- هل أنت بخير، لِم تجلس هكذا؟!

نظر إليها تاركًا لها يده التي أمسكتها ليستند عليها، ليهبّ واقفًا بوهنٍ ثم عاد من جديد لينظر إلى الحائط وتوجهت هي بنظرها موضع نظره فلم ترَ شيئًا، فعادت تتساءل:

- دكتور يوسف هل هناك شيء؟!

لم يرد عليها بل اكتفى بهز رأسه نافيًا.

لم تزد في السؤال.. وقادته مستسلمًا إلى غرفة دكتور خالد على قدميه، بعد أن رفض الذهاب على المقعد المتحرك الذي يشعره بالضعف.

دخل على خالد الذي كان قد أعدَّ قهوة الصباح لهما سويًّا؛ فقال وقد علت وجهه ابتسامة امتنان موجهًا حديثه لدكتور خالد:

- أراك لم تنسَني في طقسك اليومي.

بادله دكتور خالد نظرة الابتسامة وهو يرد مبتهجًا:

- وكيف لي أن أنساك فقد صرت أنت أيضًا طقسًا يوميًّا لي.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

تبادلا الابتسامات المجهدة ،ثم قدَّم له فنجان قهوته وعاد ليجلس على مكتبه ممسكًا بقلمه، وهو ينظر إلى ملف يوسف قبل أن يسأله في حميمية:

- كيف حال البطل اليوم؟ أرى وجهك شاحبًا!
- لا شيء، هناك بعض الأحلام المزعجة تراودني.
- هل كل الأحلام مزعجة؟!
- لا أعلم حقًا إن كانت أحلامًا حقًا أم إنها حقيقة!
- دعنا من المزعجة أيًا كانت حقيقة أو أحلامًا، تجاهلها فستبتعد عنك حتمًا.
- سأحاول أن أتجاهلها أيًا كانت، ولكن بعضها يشعرني ببعض الألفة!
- تعلم أنه لا يجب أن تتعايش مع تلك الخيالات؛ فهي ستقودك للجنون.
- أوَلست مجنونًا!!؟
- دعنا من هذا، ليس عليك أن تطرح سؤالًا مثل هذا؛ فهو ليس في صالحك.
- ها أخبرني هل سنكمل ما بدأناه بالأمس؟
- نعم، سنكمل يجب أن نستكمل ما كان لأكون.

ثم أطرق بعيدًا متأملًا المنظر الطبيعي الذي تطل عليه غرفة الطبيب؛ فكانت تطل على حديقة جميلة غنَّاء وتتقافز العصافير عبر الأشجار محلقة تارة وتارة أخرى تبحث بين الحشائش على ما تقتات به، ثم التفت إليه قائلًا:

- أشعر أنني عصفور تائه لا أعلم إلى أين المسير ولا أين هو المستقرّ، تلك الحالة التي أنا عليها أكرهها، كم أكره نوبات اكتئابي، ولكم اشتقت

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

إلى نوبات جنوني التي أشعر فيها كأنني صقر جامح لا يقف أمامه شيء، أما ذلك العصفور الكائن بداخلي الذي لا يهمه في الحياة سوى أن يلتقم بضع حبوب ليستكمل مسيرة حياته، أبغضه.. بضعفه واستكانته.

مسحت عينا دكتور خالد جسدَ يوسف من رأسه حتى أخمص قدميه، وبصوت مواسٍ قال:

- كلنا بداخلنا ذاك الصقر وذاك العصفور، ولكن لا يستطيع أحد منا أن يعيش عصفورًا دائمًا ولا يستطيع أن يكون صقرًا جامحًا على الدوام، أنت هنا لكي نقف عند نقطة متوازنة بين الصقر والعصفور.

نظرَ له يوسف مؤيّدًا لكلامه ثم جلس على (الشازلونج) ممددًا ساقيه ساندًا رأسه محلقًا في سماء الغرفة:

- أشعر بالوحدة تخترقني وتحوط بي.
- أنا معك فلا تقلق، فقط أكمل لي ما بدأته بالأمس.
- حسنًا، سأكمل.

أغمض يوسف عينيه وجهز نفسه ليجتاز الزمن، وكأنه يعيش من جديد ما قرأه في مذكرات أبيه.

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

كان أبي قلقًا من خطوته التالية؛ فقد كان عليه أن يواجه ما هو أصعب من طلب الزواج من روزالين، وإقناعها بإتمام الخطبة والزواج في مصر بين أهله، كان عليه مواجهة أمه بعد أن حاد عن المسار الذي رسمته له، برغبته في الزواج من امرأة لا تدين بنفس ديانته ولا تنتمي إلى مجتمعنا الشرقي.

فانتظر حتى موعد نزوله إلى مصر بعد أن أنهى دراسته بلندن، ولم يحبّذ أن يفاتح أمه في موضوع زواجه عبر الهاتف؛ فكان يعلم مدى ثورتها عليه، فأثر أن يكون أمامها وجهًا لوجه حتى يمتصّ غضبها ويقنعها خارج أسلاك الهاتف.

ونزل ضياء ورزوالين إلى مصر والتي رحبت بشدة بفكرته بأن يعقد قرانها في مصر أمّ الحضارات، وكم كانت مبهورة بالشمس التي لا تغيب سوى بموعد غيابها الفعلي وقت الغروب، وكما استمتعت بمشهد الغروب الذي لم تكن لتراه في مدينة الضباب، فتركت عينيها تمارسان وظيفتهما بإخلاص لا متناهي، وتحتضن نهر النيل والمراكب التي تخترقه، وذلك الكم الهائل من الكباري الذي يلف تلك المدينة الصاخبة، والدفء الذي يحيط ببشرتها والشمس التي تقبّلها فكانت حريصة على أن تطبع في ذاكرتها كل تلك المشاهد المذهلة، ولم تكن تصدق أخيرًا أنَّ قدمها وطأتا أرض مهد الحضارات.

ولم تكن الوحيدة التي لا تصدق ما تراه؛ فوالدة ضياء لم تصدق أن ولدها كبر لهذه الدرجة، التي يحضر معه صديقة فاتنة إلى المنزل، وبرغم الاستهجان والاستغراب، كان استقبالها حارًا بعد غياب استمر عامين، ولكنها عاملتها كضيفة حتى تكشف الساعات المقبلة عن حقيقة وضعها في حياة ابنها.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وما إن انفردت به حتى أغرقته بطوفان من الأسئلة:

- من تكون تلك الروزالين التي أتى بها دون أن يعلمها؟! وما هي صفتها لتسافر مع رجل غريب وتأتي إلى منزله؟!

وهنا كان على أبي خوض معركته الكبرى، في مواجهته مع أمه، وبرغم أن شجاعته تبخرت ما إن تلاقت أعينهما، إلا أنه نكس رأسه هربًا من استمرار المواجهة وقال:

- أمي أنتِ تعلمين مدى حبي لكِ، فلا تخذليني في طلبي.

توجست أم ضياء من تلك المقدمة ورفعت رأسه بأطراف أصابعها قائلة:

- ماذا بك يا ولدي؟!! عن أي طلب تتحدث !!
- أريد أن تباركي زواجنا يا أمي.. إني غارق في عشقها، ولا أريد غيرها شريكة لحياتي، ففيها الصفات التي أريدها.

لم تتحرك ملامح وجه أمه، وظلت على جمودها فأكمل:

- هل تعلمين يا أمي لم أختَرها إلا لأنها تشبهك في كثير من صفاتك، كانت لي الأم الثانية في غربتي، وكانت المؤنس لي في وحشتي.

نظرت له له بنفس الوجه الجامد الخالي من أي مشاعر وقالت:

- ولكنها على غير دينك ومجتمعها غير مجتمعنا، وتربت في بيئة غير بيئتك ولا تملك ما تملكه من القيم والمبادئ التي عكفت على تعليمك إياها؛ فكيف ستكون أمًا لأبنائك؟!!

شعر بجفاف في حلقه، ولكنه لم يكن ليتراجع الآن بعد أن قطع كل تلك المسافة فقال:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- أمي، لقد أخبرتك أنها تشبهك في كثيرٍ من الصفات، ولم أكن لأختارها لو لم تكن على خُلُق، وليس هناك من مانع شرعي في أن أتزوج من كانت تختلف عني في الدين.

نظرت بعيدًا عنه وكأنها لا تريد أن تلتقي بالرجاء الكائن في عينيه، وقالت:

- وعلى ماذا اتفقتما؟
- سنعقد القران هنا قبل أن تنتهي إجازتنا من العمل فأمامنا فقط أسبوعان لنتمم فيهما مراسم الزواج ثم نسافر.

أطبقت شفتيها في ألمٍ ثم نظرت في الفراغ وربتت على كتفه وقالت:

- لا أعلم ماذا أقول لك، ولكني لست مرتاحة لها.. أنت تعلم مدى حبي لك من الممكن أن يكون هذا انطباعي عن الأجنبيات؛ فحتى لغتها مختلفة كيف سأتواصل معها؟
- لا تقلقي يا أمي سأكون أنا همزة الوصل بينكما..
- لا أعلم كيف، ولكن مضطرة أن أقبل..

وهنا تنهَّد يوسف بقوة، وقال:

- وبرغم موافقة جدتي لم يشعر أبي براحة، وشعر بأنها تضمر بداخلها شيئًا لا يمكن أن يكون جيدًا، وعندما ظهر عمي في الصورة، كان من الواضح أنها بداية النهاية، وكان ما شعر به أبي، أقل بكثير مما كان يجب أن يقلق بشأنه.

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ليس هناك سلطانٌ على الهوى.. فللعشق أهوالٌ لن
يجتازها سوى عبدٌ مُخلِص

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(6)

شعر يوسف بالإجهاد، وزاغ بصره في فراغ الغرفة، ولكنه تجاهَل كل شيء وأكمل حكايته قائلًا:

- كانت أمي تقطن مع أبي في منزل العائلة، وهذا ما استنكرته جدتي بشدة؛ فكانت دائمًا ما تطرح عليه ذلك التساؤل:
- كيف لامرأة غريبة لم تعقد قرانك عليها بعد، أن تكون معك في نفس المنزل؟!

وكانت كل ردود أبي مجرد تبريرات، وحجته الواهية بأنه ليس لها أحد في مِصر وكلها أيام وسيتزوجها..

وما أشعل نار الغيرة بقلب جدتي التي كانت تراقب ما يحدث والغيظ يملؤها أن أبي كان يعامل روزالين كزوجة وحبيبة وقديسة، فكان يحضر لها إفطارها ويضعه بجانبها على فراشها ويوقظها من نومها في حنانٍ بالغٍ.. ينتظرها بالمنشفة بعد أن تفرغ من غسيل يدها أو أسنانها، يسحب المقعد لتجلس على مائدة الطعام كأميرة، ومع كل فعل إضافي كان وجه جدتي يزداد احتقانًا مما أوغر قلبها تجاه تلك الروزالين كما كانت تناديها.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ومن هنا بدأت جدتي تحاول استمالة ولدها وإعادته لأحضانها، وهي تراه مندفعًا تجاه تمثاله الشمعي على حدِّ تعبيرها وكأنه لا يحق له أن يمنح مشاعره لمن ستصبح زوجته، لأنها حق أصيل لها.

جلست معه ذات يوم وصارحته بعدم رغبتها في أن يسافر مرة أخرى، وأن كل ما تملك هنا سيكون رهن تصرفه.. لم تكن تريده أن يبتعد عنها مع تلك الحيزبون التي تسيطر عليه.

وأمام توسلاتها فاجأها أبي أنه عليه أن يستشير روزالين في الأمر، ثارت ثائرتها، وغضبت بل وصرخت فيه قائلة:

- هي ستكون زوجتك وعليها أن تطيعك وأن تكون معك في أي مكان تكون فيه، لا يمكن أن تكون بهذا الضعف أمامها.

لم يتقبل أبي كلمات جدتي المنفعلة، إلا أنه حاول تهدئتها واحتواءها، ولكنها ظلت متحفزة له، كانت تنتظر منه أن يفرض رأيه، عليها أن تجد منه تصرف ينفي ما تراه أمامها.. أن تشهد له موقفًا واحدًا لا يكون فيه منساقًا لها ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

خرجت جدتي في يوم من غرفتها على كلمات بالإنجليزية مغلَّفة بصوت روزالين.. كانت أول مرة تسمع صوت صراخها فخرجت هلعة وإذا بأبي يقف أمام أمي لا يحرك ساكنًا يستمع إلى صراخها في بعض الأحيان يحاول تهدئتها، ولكن بلا أي فائدة كان انفعال أمي بسبب أنه فاتحها في أنهما يستقران في مصر ولا يسافران مرة أخرى إلى لندن.. بالطبع ثارت ثائرة أمي لأن ليس هذا ما اتفقا عليه وكيف له أن يقرر فجأة أو أن يفتح معها موضوعًا كهذا غير مطروح من الأساس..

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

وربثما رأى جدتي حتى تملكه الخجل من صوت أمي العالي، فصرخ في وجه أمي أن تصمت، ولكن أمي لم تأبه به بل ذُهِلت مما سمعته وإذا بها ترفع يدها وتصفعه صفعة مدوية على وجهه..

كان هذا مشهدًا صادمًا لجدتي خاصة عندما وجدت ابنها يبكي بين يدي روزالين ويطلب السماح منها.. وفي هذه اللحظة أدركت أنها فقدته.

مرت الأمور في رتابة غير طبيعة بعد أن سلمت جدتي بأن ولدها سوف يسافر تحقيقًا لرغبة زوجته الفولاذية.. وما كان عليهم سوى انتظار ترتيبات الزفاف.

جاء اليوم المشهود وكان يوم ينتظره الجميع؛ فقد اجتمع الأهل والخلان والجيران وأصدقاء عمي وصديقات جدتي فكان يوم زواج الابن الصغير الذي سيتزوج بريطانية فجاء الجميع ليشاهدوا الجمال المكتمل الأركان؛ الوجه المضيء، العينان الزرقاوان والشفتان المرسومتان بريشة رسام، وقوام ممشوق. فكانت أجمل ما يكون في ذلك اليوم مرتدية فستانًا بالغ الجمال كاشفًا عن صدرٍ مرمري وذراعان بضّان تكاد ترى عروقها من تحت جلدها لفرط البياض، كانت كتمثال شمع رائع أبدع النحات الذي نحته، فسبحان الخالق أبدع خلقها فكانت النظرات مشدوهة بجمالها الفتان.

وجاءت لحظة تقديم خاتم الزواج وكانت لحظة مهيبة رسم لها ضياء كل التدابير لكي تكون على أكمل وجه فأبرز علبته الحمراء وأخرج منها خاتمين، أمسك بيدها وألبسها الخاتم الألماس في إصبعها، وانحنى على يدها مقبلًا إياها في هيام بالغ ثم نزل من على منصة العروسين، وكانت لا تزال روزالين واقفة كأنها على علم بما سيفعل، وركع على قدميه وخلع عنها حذاءها

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا ساحر الكتب

المكشوف وألبسها خاتمًا في إصبع قدمها ثم انحنى مقبّلًا لقدمها وحذائها وألبسها إياه من جديد.

كل ذلك كان في وسط الناس بنظرات مشدوهة ومستهجنة وشهقات من الجميع وضربة على صدر أمه من كفها فلم تكن مصدقة ما يفعل، كيف لولدها أن يهين نفسه أمام الجميع هكذا، ولم يكن يعني لضياء أيًا من نظرات الجمع الذي اجتمع ليحضر زواجه؛ فكان كل الذي يهمه أن يقدّم فروض الولاء والطاعة لروزالين زوجته وملكته وسيدة قلبه.

ولكن تصرُّفه هذا لم يكن مرحَّبًا به بل وكأنه كان يتلقى من الجميع سهامًا على رؤوسها النيران من الجميع، وبالأخص أمه وأخيه فكانت عيونهما أشبه بمنجنيق متقد ينتظر لحظة الإطلاق، إلا أنه كان في عالم آخر لم يعبأ بهما وظل طوال الحفل عيناه معلقتان بعيني ملكته ومليكته .

بعد انتهاء الحفل لم ينفرد بعروسه مثلما كان مقدرًا له أن يحدث؛ فقد جذبه أخوه من ذراعه مجرجرًا إياه إلى غرفة منفردة، وبدأ الصراخ عاليًا في وجهه، تطور الصراخ إلى وابل من السباب المقذع، طاعنًا في رجولته، وهنا تدخلت الأم لتفصل بين ولديها قبل أن تصير الفضيحة فضيحتين، وبصوت صارم وجّهت حديثها لأخيه نور:

- ليس عليك أن تنعت أخاك بمثل هذه الأوصاف فأنا من ربيته.

نظر لها ضياء في امتنان، ولكن لم يكن يتوقع ما ستقوله له، عندما نظرت نحوه واستطردت:

- اسمع يا بني.. ما فعلته لم يكن ليصح أن تفعله أمام الجميع، افعل ما تريد في غرفتك الخاصة وليس هكذا وعلى مرأى من الجميع، لقد

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

خذلتني، لا أنكر عليك حبك لزوجتك، ولكنك أهنت نفسك وأهنتنا جميعًا، فلم تضع لنا أي اعتبار ولا ماذا سيقول الناس عنك ولا عنا، ضربت بالجميع عرض الحائط ونكست رؤوسنا جميعًا.. ورغم ذلك لا تعتبر ما فعلته خطأ فادحًا في حق نفسك وفي حقي فقد اعتقدت أني ربيت رجلًا.

قاطعها ضياء في غضب:

- أمي أنا رجل هذا لا شك فيه، ولكن ما دخل الرجولة فيما فعلت؟!!

نظرت جدتي نحوه بامتعاض وقالت:

- لقد كنت أتعجب طيلة فترة مكوثها هنا من تصرفاتك الغريبة معها، لا تظن أني لم أشاهدك وأنت تحضر لها إفطارها وتجفف لها وجهها وتجلب لها حذاءها بل شاهدتك والغيظ يملؤني، ولكن عزائي أنها تصرفات لم يشهدها أحد، ولكن ما فعلته اليوم جعلني أتمنى أن أموت قبل أن أرى هذا المشهد، لقد دخلت عليكما حتى لا تجعلا منا أضحوكة على شفاه الناس بعد أن جعلتنا أنت علكة يتشدق بها الناس لأشهر بل لسنوات، لم أدخل لأتناقش معك بل لأعطيك قرارًا كنت أفكر فيه طيلة مراسم العرس وأنا أراك مسخًا لا قيمة له بجانب تمثال الشمع الذي أتيت به من غربتك.

نظر لها في ترقب من جديد، وكان يعلم أنها تتكلم بجدة؛ فلا مجال له من مقاطعتها، ثم استكملت قائلة:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- خذ زوجتك واخرجا من بيتي، لا أريد أن أراك مرة أخرى، لقد فضحتنا بين ذوينا بما فعلت، لا أريد أن أسمع عنك شيئًا.. أنت لست ابني الذي تعبت من أجله.

نزلت عليه كلماتها كالصاعقة؛ فلم يكن يتوقع منها أن تتبرأ منه بسبب حبه لزوجته وفي ليلة كهذه تتمناها كل أم، نظر لأخيه فوجده شامتًا فلم يستنجد به ثم أعاد النظر لأمه يستجديها أو أن يذكّرها بأنه ما يزال وليدها فأشاحت بوجهها عنه، حاول أن يمسك يدها فسحبتها كمن لدغها عقرب، ثم انفجر صارخًا:

- ألستِ أنتِ من جعلتني مسخًا كما تنعتينني اليوم.. ألستِ أنتِ من كنتِ تصفعينني على أتفه الأسباب ظنًا منكِ أنكِ تربينني.. ألستِ أنتِ من جعلتِ سبك لي على لسانك بدلًا من اسمي.. ألستِ أنتِ من كبتِّ مراهقتي ورجولتي.. ألم تسألي نفسك يومًا لِمَ لَم أثور مثل باقي أقراني على صفعاتك لي المتتالية؟؟.. لِمَ لَم تتوقفي عن كل ذلك قبل أن تلوميني على خضوعي لامرأة أخرى غيرك؟!!

أنهى ثورته ثم غطى وجهه ليجهش بالبكاء في وسط نظرات الذهول على وجه أمه وأخيه حتى استفاق على كلمات أمه الصارمة الباردة:

- لقد آن لك أن تتحرر مني لتكون عبدًا لها.. خذها من هنا فقد دنست منزلي.

وكان القول الفصل، فرحلا عن المنزل في ليلة زفافهما التي تعكرت تمامًا.

قالها يوسف ثم زفر في قوة قبل أن يوجّه حديثه لدكتور خالد متسائلًا:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- هل أخطأ أبي فيما فعل؟؟!!

طرقَ خالد بظهر قلمه على مكتبه فاركًا لحيته النامية، ثم قال:

- لا يهم إن أخطأ أم لا، المهم لماذا فعل والدك ذلك أمام كل الناس وما هي فروض الولاء والطاعة التي تحدثت عنها؟!!!

- أبي كان يؤمن بسيطرة المرأة على الرجل، عاشقًا لسطوتها وكان خاضعًا لها بمعنى الكلمة.

أطرق خالد مفكرًا فيما قاله يوسف قبل أن يقول:

- فهمت، تعني أن والدتك كانت سادية التعامل ووالدك كان ماسوشيًا؟!

- بالمعنى العلمي نعم، ولكنهما لم يفسراها علميًا بل كان عشقًا وتقديسًا وتناغمًا، أحببت العلاقة بينهما لدرجة أني أحلم أن أعيش مثل تلك الحياة!

- ألم يسبب لك ذلك أي مشكلة في طفولتك؟

- هذا ما كنت سوف أتحدث إليك عنه، وأريد إجابة عليه، هل ما مرّ بي سببٌ فيما أعاني منه الآن؟

- لا أستطيع أن أبدي رأيا، مازلت بحاجة لسماع باقي القصة .

- بالطبع، سأكمل لك.. فالقصة ما تزال لها تتمة. ولكن ليس اليوم فأنا أشعر بالإجهاد، ولا أريد أن أغتصب من وقت باقي المرضى.

- لا عليك، حسنًا سأتركك الآن لتستريح قليلًا، وسنلتقي مرة أخرى قبل أن أغادر، فما رأيك؟ ولكن هذه المرة أنا من سأزورك في غرفتك، فهل تستضيفني عندك!

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

أجابه بإيماءة منهكة أن لا مانع لديه.

عاد يوسف إلى غرفته والضجيج يملأ رأسه؛ فقد عانى من اجترار الذكريات معاناة لا مثيل لها، شعر بكمّ الظلم الذي وقع على أبيه، وكيف عوقب بالحرمان من جدته مقابل تقديسه لأمه، أم تراه شبح الغيرة خيم عليها فأغشى بصرها عن ابنها الصغير، لم يكن يجد إجابات لتساؤلاته ولم يحكِ له أحد عن الماضي وتلك الوريقات التي وجدها لا يوجد بها أي وجهة نظر، سوى أنها تحكي عن ماضٍ، كانت مجرد تدوين ليس أكثر.

توقف أمام النافذة المغلقة لدقائق غارقًا في سيل الذكريات، لم يكن له رغبة في الطعام، ثم استلقى فوق الفراش يستجدي النوم ويطلبه كشحاذ يريد القليل من أساسيات الحياة ليعيش.

مرت ساعتان عليه وهو يتقلب بفراشه يبحث عن ذرات النوم في فضاء غرفته لعله يجدها فيقتنصها، ولكن ذهبت محاولاته أدراج الرياح فانتفض جالسًا على فراشه وكأن عقله اللاوعي يعلم بموعده مع خالد، طرد فكرة النوم من رأسه؛ فهي غير مجدية واعتدل وانتظر طرقات الباب علّه يأتي في أي وقت.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

في هذا الوقت كان خالد يمر على مرضاه ويعاين تقدمهم في حالاتهم، ومن استكمل علاجه وعليه بالخروج ومن انتقل إلى الحجز الانفرادي لتجاوزه قوانين المصحة وتعاطي أي من الممنوعات، ومنهم من تمنّى لهم حظًا سعيدًا مودعًا إياهم بابتسامة صافية ومزهوًا بنفسهِ أنه نجح في إحراز تقدُّمًا رائعًا في علاجهم، ولا إراديًا وجدَ نفسه يفكر في يوسف وفي حالته لم يكن يتخيل أنها بمثل هذا التعقيد، ظنها حالة اضطراب ثنائي القطب فقط وهو مرض عقلي بحت تشوبه بعض التبعات النفسية مثل البارانويا.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

كان يحتاج أن يطالع مراجعه من جديد أو يعود إلى أستاذه يناقشه في تلك الحالة، ثم تذكَّر أنه وعده بأن يمرّ عليه قبل موعد انصرافه فهمَّ إليه حتى لا يفقد مصداقيته معه كما أنه كان شغوفًا ليعلم باقي قصة أبيه، وكيف أثّرت على ذلك الشاب الذي ما إن تراه تحسبه كهلًا.

دخل عليه وجده شاردًا مستندًا بظهره على وسادته وبصره متعلق بالنافذة، وأمامه جريدة ملقاة بإهمال.

- كيف حالك يا بطل؟
- الحمد لله.
- أراك تطالع الأخبار، فهل من جديد؟
- لا شيء على الإطلاق، كلها معادة إنها كالمسلسل الرتيب الذي يعاد يوميًّا ليشغل مساحة خطة القناة.

ابتسم له مؤيدًا لكلامه ثم قال:

- حسنًا، فلنكمل.. من الواضح أني سأحجز غرفة هنا في قسم الإدمان. فقد صرت مدمنًا لحكاياتك (قالها مازحًا).
- كلنا مدمنون لعاداتنا.. إن صحَّ القول إنني قد أصبحت إحدى عاداتك.

نظر له خالد ثم ابتسم قائلًا:

بل أصبحنا أصدقاء، هل تقبل بي صديقًا؟!

- بالطبع.. لي الشرف.. سأكمل لك ما تبقى من القصة.
- كلي آذان صاغية.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

جلس خالد على كرسي مقابل لفراش يوسف وتركه ليأخذ طقسه لكي يكمل روايته.

ثم قال يوسف: لقد توقفنا عندما حان موعد سفر ضياء وروزالين إلى لندن. أليس كذلك؟!

أجابه خالد بهزة من رأسه بأن نعم.. لقد بدأت رحلتهما ورحلتي أنا أيضًا.

***

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

تظل ذكريات الماضي تطاردنا.. حتى لو حاولنا أن ننساها.. تبًّا لذلك الصندوق المغلق بداخل صدور تشتاق للحظة نسيان

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

(7)

شعرت جدتي بهزيمة كبيرة أثّرت على صحتها، وعلى محاولاتها للسيطرة على ابنها الأصغر نور الدين لتفرض سطوتها عليه؛ فنور الدين لم يكن مستكينًا مثل ضياء، كان يرضي أمه، ولكن يفعل ما يشاء من خلفها.. مما غيَّر مسار حياته فيما بعد..

في حين غادر ضياء منزل جدتي فلم يكن أمامه أي خيار آخر مكتفيًا عنها بزوجته روزالين والمرفأ الأمن الذي كانت سفينته تبحث عنه لتستكين على ضفاف مينائها للأبد بلا حراك وكأنه اعتزل الإبحار وسكن إليها.

وعندما جمع بيت واحد روزالين وضياء، كان عليه أن يؤكّد لها على ولائه، فقال:

- ملكتي، سأتلو عليكِ ميثاق الولاء والطاعة فهل تقبلينني عبدًا لكِ!!

ازداد زهو روزالين بخضوع ضياء لها وإعلانه ذلك الخضوع سيشعرها بالسطوة أكثر من ذي قبل فلم تتردد في إجابتها..

- نعم.. أقبلك عبدًا لي.

ثم أخذ يتلو ميثاق الولاء والطاعة الذي ارتجله من أجل ملكته وسلطانة قلبه.

fb/Sa7er.Elkotob ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

- أقرّ أنا ضياء الدين بأني سأكون عبدًا مطيعًا لملكتي روزالين لا أعصي لها أمرًا وأني سأقبل بالعقاب الذي يسترضيها مهما كان إذا صدر منّي خطأ غير مقصود أو سهوًا مني.

ثم انحنى على قدميها وقبّلها في هيام بالغ منتظرًا إياها أن تعطيه أمر النهوض، ولكنها انحنت على مقدمة رأسه مقبلة إياها ثم ركعت أمامه واحتضنته بشدة، ثمّ أمسكت وجهه بكلتا يديها، لتجمعهما قبلة ممزوجة بلذة الألم، كانت تلك اللحظات التي تمناها أبي؛ فكان الألم مرادف للذة، وفي كل نظرة منه لها كان يقر بشيء واحد وهو: " أنا ذليلك وعبدك ولا مولى لي غيرك مولاتي " .

وانقلب الأمر من هذه اللحظة؛ فكل واجبات المرأة تجاه زوجها كان يقوم بها أبي.. كان ينظف المنزل ويحضر الخضار، ويغسل ثيابها ويلبي احتياجات أمي في كل وقتٍ. لم يكن يتذمر قط. وكانت هي تضغط عليه في بعض الأحيان بعلاقتهما الحميمة التي أدمنها.. إن أبطأ في شيء أو كان منهكًا من العمل..

كانت تحدد كل شيء، متى يقترب ومتى يبتعد ومتى تفترسه. ولم يعترض أبي على شيء من هذا؛ فهو يرى أنه من حقها أن تفعل به ما تشاء.

كان خالد يستمع إليه في هدوء وهو يفرك لحيته، ليخفي توتره لما سيقول:

- كيف علمت كل ذلك، هلا أخبرتني؟

أجاب في سرعة:

- من مذكرات أبي.. فقد كان يدون كل شاردة وواردة لم يكن يترك شيئًا إلا كتبه.

- وهل يا ترى عرفت أكثر من ذلك؟

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــا

وكانت الإجابة التي كان توقعها خالد، آتية تجاهه كسهمٍ لا يفوت هدفه:

- نعم، الذي ذكرته لك ليس بشيء أمام ما سأخبرك به.

رغم أن خالد كان يحتاج إلى التفاصيل القادمة لكي يحدد حالة يوسف بدقة ووضوح إلا إنه كان يشفق عليه مما سيرويه.. فكيف لطفلٍ أن ينشأ نشأة صحية في ظل تلك البيئة التي يشوبها كل هذا الخلل النفسي. ولكنه انتبه إلى يوسف الذي كانت عيناه معلقتين به منتظرًا إشارة البدء ليستكمل ما بدأه.

فأشار إليه أن يكمل، فأكمل يوسف باقي سرده لتفاصيل العلاقة بين ضياء وروزالين قائلًا:

- لم تكن أمي سيئة على الإطلاق؛ فقد كانت محبة لنا.. لا تصدق أنها قاسية أو أن لا قلب لها.. بل كانت تحب والدي رغم كل شيء.
- وما هو الكل شيء الذي تتحدث عنه؟؟

أجابه يوسف:

- أعلم ما يجول في نفسك وبماذا تفكر.. أعلم أنك تنتقد أمي وأبي، أعلم أن علاقتهما أمام الناس مستهجنة وغير طبيعية، أعلم أن ليس من الطبيعي أن يكون أبي خاضعًا لزوجة مسيطرة، أعلم أن الأدوار معكوسة أعلم، ولكن هل من الطبيعي أن تظل المرأة منكسرة دومًا أمام الرجل لسطوته وتحكمه في قوتها ومسكنها وكل شيء، هل من الطبيعي أن يبكيها ويجرح مشاعرها دون أن يهتز له جفن، هل من الطبيعي أن تتحمل هي كل هذا من أجل رجل متغطرس وفقط لترضي نرجسيته المتعفنة، في حين أنه هو الرجل الذي يجب أن يتحمل ويجب

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

أن يضع نفسه مكان امرأة تعاني قسوة الحياة وأن لا يكون متضامنًا مع تلك اليد التي تبطش، يجب ألا يكون ذلك المنجل الذي تمسك به الحياة لتجتث تلك الزهور اليانعة من منبتها فقط ليستمتع بها كل من يراها ثم تموت ذابلة لأنها لا تجد من يعتني بها.. أجبني أنت تفكر مثل بقية الناس أليس كذلك..

قام خالد من مكانه واقفًا ليجلس بجانب يوسف على فراشه، وربت على كتفه قائلًا:

- اهدأ قليلًا.. أنا هنا لأسمعك ليس لكي أبدي رأيًا في علاقة أبيك وأمك، تذكر أنني طبيبك ولست قاضيًا عليك.. أنت تتكلم لكي تستريح وليس لكي تغضب.. أو تطلب حكمًا.

غطى يوسف وجهه بكلتا يديه وانخرط في بكاء هستيري، لا يعلم من أين أتى بكل تلك الدموع التي تبلل وجهه وكفيه، ولا يعلم لماذا يبكي.

منحه دكتور خالد كوب من الماء، فارتشف منه وبصوت داعم مسيطر قال:

- يوسف.. عليك أن تهدأ، تأكد أني هنا لمساعدتك وليس للحكم عليك، فأنا لست مُخَوَّلًا بذلك على الإطلاق، هل ستكمل.. أم تفضل أن ترتاح قليلًا.

تمالك يوسف نفسه ثم قال:

- بل أريد أن أستكمل.. أريد أن أفرغ كل ما في تلك المذكرات ولكني أريد قليلًا من قهوتك.. فهل من الممكن...!!؟

أجابه خالد مازحًا:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك
اضغط هنـــا

- ولكن ليست كالتي أحضرها، مضطرين أن نسلِّم أنفسنا لفنجانين قهوة من أيدي وفاء.
- لا بأس..!

ضغط خالد هذه المرة على الزر الكائن بجانب يوسف مناديًا على وفاء لتحضر لهما فنجانين من القهوة غير معلومة الهوية، وبعد فترة صمت استغلها خالد ليجري بعض الاتصالات ليطمئن عليه زوجته ويكلم طفلته التي لم تتجاوز الأربع سنوات.

جاءت فناجين القهوة سيئة المذاق.. وأخرج خالد سيجارة من علبته لكي يدخن، فكانت حاجته إلى النيكوتين أكثر من حاجته لأي شيء آخر؛ فكان مسموح بالتدخين في الغرف.. فهي مصحة نفسية مسموح فيها بمثل هذه الأشياء.

أخذ ينفث دخان سيجارته في هدوء وهو ينتظر يوسف ليستطرد في حديثه. تحاشى يوسف النظر لخالد ونظر إلى ضوء القمر المنبعث من النافذة في ظل الإضاءة الخافتة التي كانت تنعم بها الغرفة ثم استطرد قائلًا:

- كتب والدي.. أنه في ذات يوم كانت ملكته تحتسي شاي الخامسة الشهير عند البريطانيين، وكان ضياء يجلس قبالتها يراقبها في عشق بالغ؛ فقالت له:
- لم تسألني يومًا عن الماضي برغم كونك شرقيًا !!
- ولِمَ أسالك عن الماضي.. الماضي ملك لكِ.. لكِ أنت فقط.
- ولكني اليوم أريد أن أخبرك بكل الماضي.. بكل ما فيه.
- إن كان هذا سيريحك.. فأنا ليس عليَّ سوى أن أقول سمعًا وطاعة.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ذهبت بعيدًا بنظرها بعيدًا، حتى كادت تنسى فنجانها ذابلًا بين يديها ثم قالت في انكسار بالغ، لم يكن معتادًا أن يراها منكسرة متجردةً من لباس سيطرتها الذي أدمنها وأدمنته:

- أنا من أسرة محافظة، تربيت على مبادئ وقيم تكاد تكون شرقية برغم الانفتاح الذي اقتحم حياتنا بشكلٍ فاضح، تعرفت على شاب في مدرستي الثانوية، كنت أحبه حبًا عذريًا يخلو من أي غريزة، كنت أقدسه تقديسًا كاملًا.. كنا نخرج سويًا تحت إشراف من والدتي، وفي يوم تخرجي من مدرستي الثانوية كما تعلم المعتاد أن يقام حفلًا رائعًا للتخرج وبالفعل ذهبت مع صديقي، كان يشرب كعلامة من علامات الرجولة؛ فقد كان غير ملتزمًا دينيًا مثلي فلم أكن أشرب الخمر.

مرَّ الحفل في سلام رقصنا ولعبنا، لهونا كثيرًا وكان مرحه وتصرفاته الهوجاء تزداد بالشراب أكثر فأكثر، لدرجة أنه أصبح شخصًا لا أعرفه يكسر الأكواب ويترنح ويهذي، أخافني بحق وعندما آن موعد الرحيل، كان عليه أن يوصلني.. كنت وجلة منه مما أصبح عليه بعد إفراطه في الشراب، ونحن في طريقنا إلى المنزل انحرف بسيارته عن الطريق لم أكن أعلم أين وجهته فسألته مذعورة إلى أين تذهب بنا فلم يرد وازدادت سرعته، ظللت أصرخ فيه أن يتوقف ولكن لم يكن يسمع لي فقد تعالت ضحكاته لترج السيارة غير عابئ لشيء، ثم توقف فجأة، كاد أن يقتلنا ويا ليته فعل.!

سقطت من عينيها دمعة ملتهبة على وجنتها، فاقترب منها يجلس تحت قدميها يربت على يدها المستندة على ذراع المقعد في استسلام، ويمسح عنها عبراتها التي تنهمر بلا استئذان ثم استكملت:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لم يكن ذلك نهاية المطاف، فقد تهجم على بمنتهى الوحشية، وأهانني وضربني بعنفٍ شديدٍ لعلّي أستجيب له.. آلمني بشدة، لم أكن لأتخيل أن يفعل ذلك معي، لولا العناية الإلهية التي شملتني والتي تمثلت في دورية شرطة واعتقلته بتهمة الشرب واتهمتُه أنا بالتحرش. ولكنني من بعدها لم أعد أنا، صرت ما أنا عليه، امرأة متسلطة، أنانية لا تضع اعتبارًا لأي شيء سواها.. أنا فقط!

لم يقبل أبي أن تنعت نفسها بتلك الصفات.. فقاطعها متوسلًا لها:

- أرجوكِ لا تقولي ذلك أنا هنا من أجلك.

ويصف أبي ذلك الموقف متأثرًا جدًا قائلًا:

- نظرت لي ملكتي وفي عينيها عبرات تنذر بالهطول، قمت واقفًا وهرعت إلى غرفتي وأحضرت حزامًا جلديًا وذهبت إليها.. لم تكن تعلم ماذا ستفعل به، ولكني ركعت تحت قدميها مناولًا الحزام لها وخلعت قميصي موليًا إياها ظهري قائلًا لها: أخرجي كل طاقة غضبك من الرجال فيَّ..

ترددت قليلًا ثم استجمعت قوتها وأخذت تضربني بالحزام على ظهري، كانت ضربتها في البداية خفيفة مرتعشة، ولكن سرعان ما زال ارتعاش يدها وأخذت تهوى به على ظهري، كنت أكتم تألمي ولكني كنت مستمتعًا بضرباتها التي انهالت على ظهري بلا هوادة أو رحمة.. تركت لها نفسي، لا يهم أن تدميني المهم هي.. هي ولا شيء سواها.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك
اضغط هـنــــا

استقبلت ضرباتها القوية في خضوع إلى أن ألقت الحزام من يدها هلعة من المنظر الذي أصبحتُ عليه؛ فقد أحدثت الضربات جروحًا مدمية. وانخرطت تبكي فأخذتها بين ذراعي محتضنًا إياها حتى تهدأ.

كانت داخل أحضاني لا تشعر بشيء، لم تطبق ذراعيها على ظهري مهملة ذراعيها بجانبها، وما إن استعادت وعيها حتى أتت إليَّ تمرضني وتمسح الدماء عن ظهري.

لم أكن أعبأ بالألم وأحببت العذاب على يديها.. أدمنته حتى إنني ابتعت سوطًا لكي تضربني به لأراها سعيدة فقد ذهب ألمها الأول وأصبح ذلك مصدرًا للهو واللعب وتكررت تلك الضربات وكلما رأيتها سعيدة ورأتني مستمتعًا بما تفعله، كانت تتفنن في إذلالي..

أحيانًا كثيرة كانت تربط الحزام الجلدي في عنقي وتهوى بالسوط على ظهري لتسمع صرخاتي التي كانت تشعرها باللذة.. لم يكن ما نفعله دربًا من الجنون بل كان عشقًا وهيامًا لا حدود له، وكثيرًا ما كنت أقف أمامها على ركبتيّ لا أحرك ساكنًا وتهوى بيدها الرقيقة على وجهي بصفعات ممتعة.

فكانت تستمتع بنظرات الترقب التي كانت تملؤني وأنا انظر إلى يدها وهي تهوى على وجهي وبرجفة عينيّ مع كل صفعة.

إلى أن انتقلت تلك التصرفات لممارستنا الحميمة وكم كانت رائعة في سيطرتها وعنفها.. فليس هناك أجمل من أن أستسلم طواعية لمعشوقتي لتشعل نيرانها في روحي.. لم أكن لأشعر يومًا بتلك المتعة لولا وجودها معي.. ولو كانت أضرمت في النار بحق لم أكن لأعصاها أو أن أتذمر عليها.

سكت يوسف بعد أن زفر زفرة تعب وهو يمسح دمعة مستترة سقطت من عينه رغمًا عنه ونظر إلى خالد ثم قال:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- لقد تعبت.. لم يعد بإمكاني أن أستكمل.
- حسنًا.. لا عليك فلنستكمل غدًا لقد أتى موعد عشائك.. أخبرني كيف حالك مع الدواء؟
- سيء.. أشعر بشوق إلى نوباتي.

نظر إليه ضاحكًا.. هل هذا هو السبب فقط؟!

- لا.. بل تعبت من جفاف حلقي ونوبات الغثيان التي تلاحقني وألاحقها بحيات مملة لتوقف غزوها نحو معدتي.
- طالما هناك من يلاحقها فلا عليك.. أهم شيء أننا سيطرنا على تلك النوبات المزعجة.. ألا توافقني؟!
- لا أعلم.... ولكني كالمياه الراكدة..الدواء لا يساعد إلا في أن أكون كبركة ماء ثابتة لا هي تزداد ولا تجف .

هزَّ خالد رأسه في تفهُّم ثم تركه ليتناول عشاءه وأوصاه بأن يحافظ على تلك البركة، فالبركة أهون من الفيضان الذي يأتيه على شكل نوبات الهوس أو الجفاف التام الذي معناه الاكتئاب الذي قد يفضي به إلى الموت.

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

قد يبتلينا القدر ابتلاءات.. لا نستطيع أن نهرب منها أو نغيّرها، وقتها.. ليس علينا إلا.. الخضووووع

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

(8)

وفي طريق عودة خالد إلى المنزل.. لم يكن عابئًا بأزمة السير أو الازدحام الذي لا ينتهي سواء في ساعات النهار أو الليل؛ فتلك المدينة لا تهدأ ولا تنام، كل ما كان يشغل باله هو يوسف.. لم تكن حالة عادية تنهيها بعض العقاقير والجلسات الروتينية بل كان الأمر أعمق من ذلك.

لا يعلم لماذا يهتم به اهتمامًا شخصيًا، ولماذا أغفل كل شيء عاداه، مواعيده مع مرضاه، بيته الذي لا يجد وقتًا ليجلس فيه، زوجته التي تنتظره دومًا ولا تهنأ به؛ فبمجرد أن يصل حتى يجلس قليلًا ثم يطمئن على عصفورته الصغيرة التي على موعد وصوله دومًا تكون قد أسلمت نفسها لعشها الصغير، فلا يراها إلا وهي محتضنة دميتها وريثما يطمئن أن كل شيء بخير يهرع إلى غرفته ملقيًا بنفسه على فراشه الوثير لينعم بالراحة قليلًا قبل أن يوقظه رنين منبهُ المزعج ليستكمل دورانه في دائرة الحياة المغلقة..

وصل إلى منزله لا إراديًا، لا يعلم كيف وصل، كأنها كانت تلك مهمة عقله اللاوعي الذي اعتاد على ذلك الروتين السخيف والطريق الأهوج، وتجاوز السيارات الهوجاء وأوصله في أمان.

صعد إلى منزله، وما إن دلف حتى وجد زوجته المحِبَّة في استقباله لتختبئ داخل ذراعيه وتستند برأسها على صدره لتستمع إلى دقات قلبه الذي

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب على الفيسبوك اضغط هنا

اشتاقت إليه، احتضنها ووعيه هناك سارحًا مع يوسف.. وعندما انتبه إليها، رفع رأسها وغاص في عينيها الرائقتين قليلًا ثم قال لها:

كيف حالك يا زهرتي البرية؟

أعادت رأسها من جديد على صدره وضمته أكثر ثم قالت:

- الآن أصبحت بخير.. أنت تعلم ذلك.

مشيا سويًا وهما يتحدثان الحديث اليومي وعما فعلته طيلة يومها، وما فعلته معها ابنتهما الصغيرة وهما يتضاحكان على كلماتها الصغيرة ،وما إن استكمل تبديل ملابسه حتى سمع صوت معدته ينذره بأنه عليه أن يتناول الطعام، فقال:

- ماذا حضّرتِ لنا من طعام اليوم؟
- كل يوم تسأل هذا السؤال !!.. وكل يوم تأكل ما أضعه لك فلمَ تسأل!؟.. قالتها مداعبة إياه.
- عندك حق.. إذن أطعميني ما حضّرته يداكِ الجميلتان.

انتهت من تحضير طاولة الطعام وجلسا يتناولانه في هدوء، لاحظت عليه شروده قليلًا فاعتقدت أن الطعام به شيئًا وبدأت في أسئلتها النسائية التي لا تنتهي: هل الطعام لا يعجبك؟، هل تريد شيئًا آخر؟؟ آه لقد نسيت المياه.

كل هذا وخالد لم يكن ليتذمر من شيء هو فقط سارح في ملكوت آخر.

- لا شيء بي يا صغيرتي أنا فقط مثقل بهموم العمل فلا تقلقي.

ربتت على كتفه وطبعت قُبلة حانية على خده ثم قامت لتكمل ما عليها من غسيل الأطباق، وتركته مع ما يجول في رأسه.. وعندما عادت وجدته جالسًا على مكتبه وأمامه كتب وأوراق فلم تقاطعه وذهبت لتجلس على أريكتها المحببة تشاهد التلفاز، تمارس روتينها اليومي بلا مشاعر.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا
ساحر الكتب

أدار خالد المذياع على البرنامج الموسيقي الذي أدمنه منذ كان طالبًا يستذكر دروسه، فقد ارتبط هذا البرنامج معه بأوقات التركيز القصوى، فتح الكتاب الذي أمامه، كان عنوانه (الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسيًا) كان مرجعًا مهمًّا كثيرًا ما يعود إليه، خاصة عندما تتشابك أعراض المرض ويحيّره فبدأ يقرأ بدون تركيز.

كان يحتاج أن يذهب بعيدًا عن كل شيء.. شعر باحتياجه إلى أن يتحدث مع أستاذه وأبيه الروحي الدكتور طاهر، ولكن كان عليه أن ينتظره حتى يعود من سفرته التي طالت.

عاد للكتاب و بدأت عيناه تتخطى التعريف بالسادية والماسوشية؛ فهي تعتبر معلومات عامة وليست طبية، كان يرد فقط أن يتأكد حسب آخر الأبحاث العلمية، أهي مرض أم مجرد اضطراب.

ظلّ يقلّب في الصفحات بغير حماسٍ؛ فلا جديد يضاف لمعلوماته، كل الأبحاث تنتهي بإعلان أنه لا مزيد من العلاجات النفسية للسادية والماسوشية.

حسنًا إذن لا علاج لماسوشية يوسف، ماذا عن البقية !!

أخذ يقلّب في المرجع التي أمامه حتى توصل إلى فصل الاضطراب ثنائي القطب والذي كان يُعرَف فيما مضى باسم الاضطراب الاكتئابي الهوسي manic- depressive disorder، أو الاكتئاب الهستيري manic depression، هو شكل من أشكال الاكتئاب يحدث فيه تبادل بين فترات من الاكتئاب العميق وبين فترات أخرى من النشاط الزائد والبهجة غير الطبيعية (هوس .mania)، كما يمكن أن يظهر الاضطراب الوجداني على شكل نوبات من انخفاض المزاج وتسمى الاكتئاب، أو ارتفاع المزاج وتسمى الهوس. كما يمكن أن يظهر الاضطراب بشكل مختلط وتسمى نوبة

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

مختلطة. كذلك فإن نوبة الهوس يمكن أن تكون خفيفة ويسمى الهوس الخفيف .(Hypomania)

ويبدأ الاضطراب عادة بنوبة اكتئاب في سن المراهقة أو أوائل سن الرشد. وأول أطوار الهوس قد لا تظهر إلا بعدها بعدة سنوات. ويتباين طول مدة الدورة، من ذروة الهوس إلى الاكتئاب العميق، من شخص إلى أخر. ويرتفع خطر التفكير في الانتحار بين الناس المصابين بهذا الاضطراب، فتصل نسبتهم طبقًا للتقديرات إلى شخصٍ واحدٍ من كل أربعة أشخاص يفكر في الانتحار وينجح في الانتحار بالفعل واحد من كل عشرة أشخاص. تلعب الوراثة دورًا هامًا في الاضطراب ثنائي القطب. فالأقارب المقربون لأشخاص يعانون من الاضطراب ثنائي القطب هم الأكثر عرضة للإصابة به أو بشكل ما من أشكال الاكتئاب من غيرهم من الناس. دراسات أخرى تشير إلى عوامل بيئية، مثل اضطراب العلاقات الأسرية، باعتبارها عاملًا يزيد من تفاقم الحالة .

وتتمثل أعراضه في: أنه مرض انتكاسي يسير على هيئة دورات؛ ففي أحد أجزاء الدورة نجده يتسم بأعراض الاكتئاب. وفي أجزاء أخرى، طور الهوس، نجدهم مبتهجين، يميلون للخروج والتنزه، ومتحدثين وممتلئين بالطاقة. وما لم يخرج الهوس عن نطاق السيطرة، فإن المريض قد يكون عالي الإنتاجية وتصبح صحبته ممتعة.

أما مع تفاقم حدة الهوس فإنهم يصبحون غير منتجين ويتحدثون بصوت عالٍ، وبسرعة ودون توقف ويقفزون من فكرة إلى أخرى. وهم يحتاجون إلى قدرٍ قليلٍ من النوم وقد يتصلون هاتفيًا بأصدقائهم في أي وقت. وقد تظهر لديهم أعراض ثقة زائدة بالنفس أو أوهام مبالغ فيها يتخيلون فيها امتلاك السلطة والثروة .

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

إن المرضى أثناء طور الهوس قد يستثمرون أموالهم بحماقة أو ينفقون ببذخ، ويبدأون فجأة في مشاريع كبيرة ثم سرعان ما يتخلون عنها. وهذه البشاشة المستهترة المفرطة قد تنقلب سريعًا إلى عصبية، وغضب وبارانويا (جنون العظمة). وغالبًا ما يؤدي الهوس إلى تعاطي الكحوليات وغيرها من المخدرات بشكل مفرط وإلى فقدان الوظيفة، والإفلاس، والتصرفات الطائشة، والابتعاد عن الفضيلة والطلاق.

إن طور الهوس، إذا لم يُعَالَج، قد يستمر لمدة تصل إلى ثلاثة شهور. ومع خموده يدخل المريض في فترة من المزاج الطبيعي والسلوك الحسن، تستمر لأسابيع أو لسنوات. وفي نهاية الأمر يدخل المريض في الطور الاكتئابي من المرض.

وحتى مع العلاج، فإن النكسة أمر شائع. وأعراض الاضطراب ثنائي القطب لا يسهل دائمًا تمييزها عن غيرها من أعراض الحالات الأخرى الشديدة؛ ففي ذروته، قد يصعب تمييز الهوس عن انفصام الشخصية.

أغلق الكتاب الذي كان مفتوحًا بعد أن دَوّن بعض الملاحظات الخاصة بالعلاج ثم فتح كتابًا آخر كان سيرة ذاتية لطبيبة تعاني نفس المرض.. أخذ ينظر إلى غلاف الكتاب وابتسامة كاتبته الرائقة التي تشع بالحيوية وأخذ يقرأ العنوان بتمعن "عقل غير هادئ".. سيرة ذاتية لـ "كاي ريدفيلد جايمسون". ثم رفع الكتاب أمام ناظريه ونظر في عينيها.. كم أنتِ قديرة بتوصيفك لحالتك، بالفعل إنه عقل غير هادئ.

أخذ يتصفح فيه ليتعرف على نفسية المريض من الداخل، ولكنه فجأة أغلق الكتاب ووضعه بقوة على مكتبه وأسند رأسه على كرسيه ثم أخذ قلمًا ليلهو به لعله يخفف التوتر ثم نزل برأس القلم المسكين على المكتب يدقه برتابة، كوسيلة لتفريغ التوتر، ثم استند بظهره على مقعدة وأشعل سيجارة التقمها بين شفتيه في هدوء ويشاهد دخانها الأزرق يتصاعد في

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

سقف الغرفة، وبدأ يرسم على ورقة أمامه خمس دوائر وكتب داخل كل دائرة معلومة منفصلة: الأب ماسوشي، الأم سادية. ثم أخرج من كلتا الدائرتين سهمين التقت رأساهما عند دائرة كتب بداخلها اسم يوسف، وأخذ يخرج أسهم من الدائرة التي تحتوى على اسمه: اضطراب ثنائي القطب، ماسوشية، بارانويا. ثم بدأ في كتابة الملاحظات تحت خريطته الذهنية.

هكذا قد اتضحت الصورة..

الضغوط النفسية والجسدية التي عاصرها يوسف داخل أسرة تمتاز بالكثير من الخلل النفسي، وكفيلة بأن يصاب الإنسان بسببها بالجنون، ترى هل هناك شيء آخر في تاريخ عائلتك المرضي!! ولكن أي نوع أنت من أنواع الاضطراب ثنائي القطب؟! غالبًا ما يكون هيبومانيا !

ثم توقف فقد كان ينقصه المزيد من المعلومات من يوسف حتى يقيم الحالة بشكل جيد.. قام متثاقلًا فقد غزا النوم جفنيه وصارا كقالبين من الطوب مزينين بالرموش، خرج من غرفة المكتب وجد زوجته نائمة على الأريكة وباقي الأثاث يتابع التلفاز في هدوء.

أيقظها ثم دلفا إلى غرفتهما ليستسلما للنوم في رحلة لم تكن لتستمر سوى خمس ساعات، فآثر ألا ينطق بكلمة واحدة حتى لا تذهب غفوتها ويطير النوم من عينيه. نظر قليلًا في سقف الغرفة وما إن بدأ يطارده طيف مريضه حتى غطى وجهه بالغطاء وأغمض عينيه بشدة حتى لا يخترقها، وذهب في سبات عميق.

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

ليتنا نستطيع أن ننسحب من هذا العالم.. بدون عنف جسدي

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

(9)

في كل يوم كانت وفاء ممرضة يوسف الأساسية تستيقظ على صوت صراخ زوجها عليها ليبدأ يومها بالنكد والشجار، فتضيق روحها ويتكدر يومها، وترى الدنيا بمنظارٍ أسود كئيب، حتى تعبت وملت وصارت أكبر أمنياتها أن تستيقظ ذات يوم على صوت محب وعاشق، أو يمر يومها عاديًا، بدلًا من ذلك الحقير الذي يشاركها فراشها، ويعاملها كعبدة، وكأنه حصل من زواجها على صك عبودية، وليس عقد زواج.

تفتح عينيها على وجهه الكريه الذي يتطاير الشرر منه، لتلبي له أي طلب تافه برغم إرهاقها الشديد من العمل والأطفال فقط لمجرد إثبات رجولة مفقودة..

يا لها من حياة..

الخلافات اليومية تبدأ دومًا بتبادل السباب والإهانات التي تنتهي بصفعات وركلات متبادلة وكدمات داكنة، روتين لا يتغير، ولا يتبدل ويزيد من حنقها وغضبها.

لم يختلف اليوم عن باقي الأيام، إلا أن شعورها الشديد بالقهر والانهزام كان مضاعفًا؛ فبالأمس فقدت عملها الصباحي فلم يطِق صاحب العمل تقلُّب نوبتجياتها في المستشفى، وزميلتها ابتهال لم تكن لتطيق نوبات العمل الليلية المتواصلة، كما أن لها التزاماتها.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

لا تعلم ماذا تفعل لِكي تتخلص من كل هذه الأعباء، والمصيبة الأكبر زوجها الذي لا يهتم بكائن في العالم سواه، والمقهى الذي يكلفها ميزانية إضافية.

تمنت دومًا أن تقوم برفع دعوى تطليق منه، فالحياة معه لا تحتمل، لتحظى ولو بجزء بسيط من حريتها، وريثما كانت تفكر في هذا التفكير يطوف حولها أشباح المحاكم والمحامين وطلباتهم التي لا تنتهي.

من أين لها بكل هذا المال وما تجنيه بالكاد يكفي حاجتها، وبكل ما يعتمل بداخلها من وجع قالت:

- يا اللـــه ألهمني الصبر.

وقفت قليلًا تتأمل وجهها في المرآة ثم حدّثت نفسها:

- ألا يستحق هذا الوجه الجميل، حياة أفضل؟!

انتبهت للوقت، لقد آثرت أن تذهب مبكرة اليوم ولم تكن تريد أن تتأخر على عملها في المصحة؛ فلا يمكن أن تفقده هو الآخر، ارتدت ملابسها على عجل، ثم غادرت المنزل وقلبها يحمل كل هموم الدنيا.

*****

في ذلك الوقت كان دكتور خالد قد وصل بالفعل إلى المستشفى؛ فأعدَّ فنجانًا من قهوته الأثيرة، وأثناء تدخينه لسيجارته، انهمك في مراجعة كل التقارير التي يحتويها ملف يوسف، ثم دوَّن ملاحظات كثيرة في بلوك نوت جانبي، ثم غرق في تفكير عميق، قبل أن يحدِّث نفسه:

- بارانويا مصاحبة لحالات الهوس (يشعر بأهميته عن الآخرين أكثر من اللازم) مرض العظماء والفنانين.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

ثم دوّن ملاحظة جانبية:

- قياس نسبة الليثيوم في دم يوسف..

أنهى ملاحظته، ثم ميزت أذناه صوت طرقات ابتهال على الباب، وفتحها للباب دون تنتظر أن يأذن لها بالدخول..

طرق خالد بظهر القلم على سطح المكتب ناظرًا لها تلك النظرة العدائية من خلف نظارته الطبية، التي بدورها جمدت الدم بعروقها، وذكّرتها بتنبيهه السابق بعدم دخولها قبل أن يأذن لها، فقالت متلعثمة:

- آسفة يا دكتور خالد، أعدك أن تكون المرة الأخيرة.

لم يرد عليها، وأشار لها لتفصح عن ما أتت من أجله فقالت:

- المريض في عنبر العزل في حالة هياج شديدة..ماذا أفعل له؟!

منحها نظرة صارمة قبل أن يقول:

- المعتاد يا ابتهال، هل سأخبرك بعملك، حقنة مهدئة مع الاحتفاظ به مقيدًا؛ فأعراض الانسحاب من ذلك المخدر ستزيد من حالة هياجه.

همَّت أن تنصرف عندما ابتدرها متسائلًا:

- كيف هو حال مريض 703؟

تنفست بقوة قبل أن تقول:

- حالته مستقرة، وله جرعة دواء بعد نصف ساعة .

غزت ابتسامة طفيفة وجهه، فقال لها:

- أخبريه أني سأمر عليه بعد جولتي على المرضي.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وبتلقائية أجابت ابتهال:

- تحت أمرك يا دكتور خالد.

*****

بمجرد وصول وفاء إلى المستشفى، توجهت من فورها وعلى وجهها كل أحزان الدنيا، طرقت على الباب وهي تحدِّث نفسها: "عساه لا يرفض طلبي فليس لي سبيل سواه"، جاءها جوابه بالإذن بالدخول عندما وجدها أمامه، نظر في ساعته فكان يعلم أن موعد استلامها الساعة الثانية عشر فقال:

- وفاء !! أتيتِ مبكرة اليوم على غير عادتك!
- كيف حالك دكتور خالد أولًا؟!
- أنا بخير، أما أنتِ فلا أعلم ما بكِ؟

وعندما همت بالحديث فاجأهما وجه ابتهال الممتقع، التي دخلت هذه المرة دون استئذان أو حتى طرق الباب، منظرها جعله يتخطى كل مشاعر الضيق والغضب ليسألها في سرعة:

- ماذا حدث يا ابتهال؟!

أنصت إليها، ثم اندفع وهي خلفه، وخلفهما وفاء إلى الغرفة 703، وهناك كان يوسف غارقًا في بركة من الدماء قاطعًا شريان يده، وكان قد دخل في غيبوبة مؤقتة، لو لم يتم تداركتها لأصبحت غيبوبة دائمة.

ساد الهرج للحظات، وبسرعة بسط يوسف سلطته على الجميع: فقامت وفاء بإيقاف النزيف، وأحضرت ابتهال كيس دم من فصيلة (O) موجب لتعويضه كمية الدم التي فقدها.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

عندما انتهى خالد من إسعافه، نظر حوله ليستكشف كيف استطاع أن يفعلها يوسف رغم كل تلك الاحتياطات الأمنية التي تتخذها المصحة في عنابر العزل، ثم وقعت عيناه على معلقة بلاستيكية لها سن مدبب كانت مخضبة بالدماء بجوار فراش يوسف على الفراش.

تم نقل يوسف لغرفة عناية مركزة خاصة، ثم أمر بتحويل ابتهال للتحقيق لمعرفة سبب التقصير الذي أدى لهذا التطور المخيف.

عاد لغرفته وهو يشعر بالاستياء والغضب، وبفشله كطبيب نفسي، جلس على مكتبه لدقائق صامتًا قبل أن يقول:

- لماذا الآن يا يوسف، كل ما كنت أريده منك هو المقاومة، فقط بعض المقاومة.

أيقظته من تفكيره المظلم وفاء التي دخلت عليه بعد أن كلّت يديها من طرق الباب، والتي ابتدرته قائلة:

- دكتور خالد أحضرت لك عصير ليمون، أعتقد أنك تحتاجه.

تناول منها كأس العصير ثم ارتشف منه رشفة متذوقًا قبل أن يقول في محاولة منه للإيحاء لها بأنه مسيطر على كل الأمور، وأن ما حدث خطأ عارض:

- مستواكِ في العصير أفضل من القهوة شكرًا لكِ.

هزت رأسها وتمتمت ببعض الكلمات، قبل أن يظهر على وجهها بعض التردد، وكأن هناك شيئًا تود أن تقوله، ولكنها تخشى الإفصاح عنه، فقال خالد في نفاد صبر:

- هل هناك شيء آخر يا وفاء؟

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

- في الحقيقة يا دكتور...

زفر في ضيق ثم قال:

- بداية الحديث بكلمة "في الحقيقة"، معناه هناك لف ودوران، ادخلي في الموضوع فورًا بدون مقدمات.

قالت متلعثمة:

- ابتهال..

أشاح بوجهه عنها قائلًا:

- ما بها؟ كانت ستتسبب في موت إنسان، هل تعلمون المسئولية تجاه أن يموت إنسان بسبب الإهمال !!

تحدثت مدافعة عن زميلتها:

- دكتور خالد، ابتهال كانت تحت ضغط من مريض العزل الانفرادي؛ فقد حكت لي ما حدث وهي في حالة انهيار، فمن أين لها أن تعلم أن يوسف سوف يقدم على الانتحار.

منحها نظرة صاعقة وقال:

- حقًا!! ومن منا يعلم، يوسف مريض نفسي مثل كل المرضى بهذه المصحة، متوقع منه أي تصرف ويجب التعامل معهم بمنتهى الحذر، وقد نبهت عليكم من قبل، وأعطيتكم كافة التدابير والتوقعات التي ممكن أن تحدث. لا أرى سوى الإهمال وكأن حياة البشر ليس لها أي قيمة، أو أن المريض النفسي لا يستحق الاهتمام مثل مريض القلب والسرطان والكبد، هناك فرق: كل هؤلاء المرضى يعون ما هم فيه، منهم من يأمل في الشفاء، ومنهم من ينتظر الموت، ولكن مرضانا

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

يسعون للموت بغير إرادتهم، إلى متى سأظل أعطيكم مثل تلك الدروس؟! إذا لم تكونوا على قدرٍ من المسئولية؛ فمن الأفضل أن تجلسوا في بيوتكم.

انتبه خالد لوجه وفاء الذي امتقع والدموع قد ملأته في صمت، أيقن أنه احتدّ عليها، ولم يكن لها ذنب في شيء بل ساعدته في إسعاف يوسف بكل ما أوتيت من قوة ولم تنظر أنها ليست في ساعات العمل وأدت واجبها على أكمل وجه، قام واقفًا معتذرًا لها.

- آسف على انفعالي ولكن..

قاطعته قائلة

- لا عليك.

وهي في طريقها للانصراف ناداها قائلًا.

- وفاء، انشغلنا بما حدث، ونسيت أن أسألك ماذا كنتِ تريدين عندما أتيتِ؟

أدركت وفاء أنه ليس بالوقت المناسب لكي تفاتح خالد بما كانت تريد فآثرت أن تفاتحه في وقتٍ لاحق.

- وقت آخر إن شاء الله، فالوقت غير مناسب الآن.

تعاطف معها وهي التي كانت تجاهد لكي تمسح الدموع التي انهمرت بلا استئذان من عينيها.

- لا عليك.. هاتي ما عندك.

نظرت في الأرض خجلة ثم قالت بصوت باكٍ:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنــــا

- دكتور خالد أنت على علم بظروفي كلها، وفكرت كثيرًا فلم أجد لي سبيلًا سواك، كنت أريدك أن تتوسط لي عند الدكتور طاهر لأشغل منصب كبيرة الممرضات، فأنا على علم أن مدام هالة ستترك العمل خلال أيام، وأنا بحاجة ماسة لكل زيادة في راتبي، ومواعيد عمل المصحة أعجزتني عن الالتحاق بعمل إضافي، وملفي لا يوجد به أي نقاط سوداء؛ فهل لك أن تسدي لي هذا المعروف الذي لن أنساه لك؟

أطرق خالد بعيدًا، كان على علم بمعظم ظروفها، ولم يكن عنده شك في إخلاصها وكفائتها، ولم يكن لديه مانع في حصولها على تلك الترقية فلن تتخطى أحدًا آخر. نظر لها مرة أخرى وهو يفكر ثم قال باسمًا:

- حسنًا وفاء، لا مانع لدي، ولكن يجب أن تحسني من قهوتك.

شكرته وفاء، وقد بدأت تشعر أن الحياة ليست بذلك السوء الذي تظنه.

فهل تصدق هذه المرة؟

انصرفت فتمدد دكتور خالد على الشازلونج، وغرق في حديث مطوَّل مع نفسه، فكان هو الطبيب والمريض معًا.

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

يحدث أن تكون حبيس عقلك..

ولا تستطيع الهرب منه

وأن تتجمع الدموع داخل محجريك

ليس لأنها تأبى الهطول..

ولكن لتغرق روحك قبل أن تتشبع بها مسامك

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك
اضغط هنـــا

(10)

وفي غرفة العناية المركزة، رقد يوسف على فراشه مغمض العينين، يده اليسرى مضمدة بعناية، ومتصل به عدة خراطيم تتصل بالعديد من الأجهزة، كان قد أفاق منذ لحظات، وهو يجاهد ليفتح عينيه قليلًا ينتظر أن يرى عالمًا غير العالم الذي يعيش فيه، يهيأ له أنه قد نما لديه جناحان وانتقل إلى السماء أخيرًا، وعندما فتح عينيه، ووجد نفسه مازال راقدًا مقيدًا على ذلك الفراش زفر زفرة حنق ثم صرخ قائلًا:

لماذا لم تتركوني لأموت أيها الأغبياء، أم أن كل شيء في تلك الحياة ضد رغبتي، لمااااذا لمااااذا؟؟؟" وبدأ في نوبة من البكاء وازداد نحيبه أكثر فأكثر.

كانت وفاء قد كُلِّفَت من قِبَل دكتور خالد بمتابعة حالته أثناء وجوده في العناية المركزة، لذا عندما بدأت ثورة غضبه كانت هناك من أجله، وبصوتها المرهق حاولت احتواءه:

- أرجوك اهدأ حتى لا ينزف جرحك من جديد .

نظر لها نظرة عدائية ودفعها بعيدًا ثم صرخ فيها:

- اتركيني..لماذا تصرون على إبقائي على قيد الحياة ! لقد سئمت، سئمت من كل ما أنا فيه.

كانت ثورته هذه المرة عاتية، حتى ظنت أنه سيمزق قيوده، فاستدعت اثنين من الممرضين الأشداء، ثبتاه حتى أفرغت محقنًا ممتلئًا كان حاضرا معها،

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

قبل أن تطلب دكتور خالد في الهاتف الداخلي، وما إن أتاها صوته حتى قالت:

- دكتور خالد المريض 703 استفاق وهو في حالة هياج شديدة، لا أعتقد أن المهدئ كافٍ في هذه المرحلة، إن حالته تتدهور.

سيطر خالد على اضطرابه الذي أصبح متعلقًا، بذكر نزيل الغرفة 703، ثم سألها بصوت متوتر:

- ما هو المهدئ الذي تم حقنه به ؟؟
- لقد حقنته بالـ ديباكين منذ لحظات، ولكن تأثيره لم يبدأ بعد، ولا أعتقد أنه سيكفي .

أطرق بعيدًا كأنما يفكر كم من الوقت سيظل مفعول المهدئ مع يوسف، ليس هناك أفضل من الصدمات الكهربائية، كما أن المهدئ لا يعمل بنفس الكفاءة مع مرضى الاضطراب ثنائي القطب، وتأثيره لا يستمر إلا نصف المدة الزمنية.

- حسنًا وفاء لا مجال الآن إلا الجلسة الكهربية. أنتِ من اليوم مسئولة عنه فلا تخذليني.

أغلقت سماعة الهاتف الداخلية، وعيناها على يوسف الذي بدأ المهدئ يهدّئ من ثورته، وقد داخلتها بعض السعادة، من استعانة دكتور خالد بها، لتتابع حالة يوسف التي تحوز منه مكانة خاصة، فالتكليف يزيد من نقاطها عند الدكتور خالد وتجعله يثق بها أكثر، وباليته ما فعل !!

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

في مساء ذلك اليوم كان الدكتور خالد يجلس في غرفته، وهو يقلّب في بعض الملفات الخاصة ببعض المرضى ليمرر الوقت، وفي تلك الأثناء كان الدكتور طاهر مدير المستشفى قد عاد من سفرته الطويلة لحضور مؤتمر طبي خارج البلاد، كان يمشي في أروقة المستشفى يتابع ما حدث في المستشفى في غيابه بأسئلة بسيطة، وطبعًا كانت الإجابات أن كل شيء على ما يرام !!

وعندما أنهى جولته توجه من فوره إلى غرفة خالد الذي كان يعتبره ابنه وتلميذه النجيب ويثق فيه ثقة تامة، حيث ترك المصحة تحت مسئولية خالد طيلة الشهر الماضي، طرق الباب ثم دخل، وما إن وقع بصر خالد عليه حتى تهللت أساريره لوصول الدكتور طاهر الأب الروحي له، فانتفض من مكانه مستقبلًا إياه بالأحضان ثم سارا سويًا تجاه المكتب، جلس خالد قبالة الدكتور طاهر سائلًا إياه في حميمية:

- كيف كان أحوال المؤتمر وأحوالك وكيف كانت الرحلة؟
- كانت مرهقة بعض الشيء، ولكن كل شيء على ما يرام، أخبرني ما الجديد فإني أراك مشغول البال !
- انتظر حتى تستريح من عناء السفر قليلًا لا تتعجل يا أستاذي.
- لقد اشتقت إليكم وإلى مرضاي، لا تتمهل، أخبرني.

ابتسم خالد في ودٍ قبل أن يقول:

- حسنًا مثلما تحب، ولكن قبل أن أخبرك ألم تشتَق إلى قهوتي؟

بادله الدكتور طاهر الابتسام ثم رد:

- بلى اشتقت إليها بشدة.

وقام خالد من مكانه ليعد قدحين من قهوته المميزة، وهو يقول:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- حسنًا أمهلني لأحضر فنجانين قهوة على شرف حضورك.

تبادلا الضحكات، وريثما انتهى خالد من تحضير فناجين القهوة وبدأ في تناولها، بدأ يقص على الدكتور طاهر كل ما حدث في فترة غيابه وعن الحالات التي كان يتابعها بدلًا عنه وعن الحالة 703.

ارتشف الدكتور طاهر بضع رشفات من القهوة مثنيًا على جودتها ثم وضعها جانبًا قائلًا:

- إذن.. يوجد عندنا مريض هوس اكتئابي.

ضحك خالد حتى ظهرت نواجذه ثم أردف قائلًا:

- مازلت مصرًا يا دكتور طاهر بتسمية المرض باسمه القديم.

هزَّ دكتور طاهر رأسه مؤيدًا، وقال:

- نعم، فهو معبّرًا أكثر بالنسبة لي.. كما أني لست في مؤتمر لكي أطلق على الأمراض الأسماء الجديدة التي يكتشفونها ويطلقونها عليها.

وهنا ظهرت على خالد الجدية ويقول:

- ولكنه ليس فقط حالة هوس اكتئابي، ولكنه يعاني من المازوشية.

فقال دكتور طاهر:

- حقًا!! ستحتاج منك جهدًا كبيرًا، وكمًّا كبيرًا من الحذر! لم تخبرني أي نوع هو من أنواع الهوس الاكتئابي؟

صمت خالد وظهر عليه التردد للحظات قبل أن يقول:

- بعدما حدث بالأمس تأكدت أنه .(Hypomania).
- وماذا حدث بالأمس؟!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- لقد حاول الانتحار .
- حقًا !! وكيف حدث ذلك أخبرني .. كيف لمريض في مصحتي يقدم على الانتحار !!
- حدث ذلك في غفلة من الممرضة.. فكنا نعاني من عجز في الممرضين ذاك اليوم، وكان هناك مريض في العزل وقد أحدث الكثير من الجلبة والإزعاج مما ألهى الممرضة عن المريض 703، وحدث ما حدث.
- لم أكن أتوقع أن تخطئ مثل ذلك الخطأ يا خالد.. ولكن ما حدث قد حدث، ولمعزّتك عندي لن أتخذ أي إجراء، ولكن الممرضة ستحوَّل إلى التحقيق.. أما بالنسبة للحالة سوف أتابعها من بعيد معك، فربما تحتاج لمساعدة إضافية مع تلك الحالة المعقدة..أنا سأكون الطرف الثالث الذي لا يعلم عنه أحد.

تبادلا الضحكات حتى أثارت صدريهما بسعلات مفاجئة ثم أردف خالد قائلًا وسط ضحكاته:

- مازلت تقحم السياسة في كلماتك.
- بالطبع.. كل ما يحدث لنا هو في الأصل سياسة.

أومأ خالد برأسه موافقًا على كلام أبيه الروحي، فلم يكن يحب أن يتطرق لأحاديث سياسية حتى لا يعكر صفوهما شيء مع الاختلافات الراهنة لكل موقف سياسي مضاد. ثم نظر خالد إلى ساعته قائلًا:

- الحقيقة يا دكتور طاهر لقد هوَّنت عليَّ الوقت فكم كنت أحتاج لجلستك تلك لتخفف من على كاهلي قليلًا.
- حقًا !! أنا أيضًا اشتقت لجلساتنا سويًا..

ثم صمت قليلًا كأنه تذكر شيئًا ثم أردف قائلًا:

- ما اسم هذا المريض؟!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- يوسف.. يوسف ضياء الدين.
- حسنًا إذن بعد أن تحدد ملامح الحالة بشكل كامل، اكتب لي تقريرًا عن حالته، سأذهب الآن إلى مكتبي.. سأنتظرك ريثما تنتهي.
- أرجو ألا تتعجلني فأنا أحتاج بعض الوقت لأكتب التقرير النهائي.
- لا بأس.. خذ وقتك سأنتظرك حتمًا.

ما إن خرج دكتور طاهر من غرفة خالد، حتى قرر خالد زيارة يوسف، وعلى الفور توجَّه إليه في غرفته التي نقل إليها بعد استقرار حالته، كان يوسف مسبل العينين لا هو في حالة غفوة كاملة ولا هو مستيقظًا.

سحب خالد كرسيه في هدوء وجلس بجانبه يتابع منسوب المحلول الذي يسري في أوردته، ثم ضغط زر استدعاء التمريض، وما إن أنهى ضغطته، حتى وجد وفاء تقف أمامه كأنه استدعى الجني من المصباح، فابتدرها قائلًا:

- خذي عينة دم من يوسف واذهبي بها للمعمل، أريد تحديد نسبة الليثيوم بالدم.

سحبت وفاء العينة من جسد يوسف، وهرعت بها على الفور إلى المعمل، وساعتها كان يوسف، قد بدأ في نزع الستائر المشرعة من على عينيه مقاومًا مفعول المهدئ، وما إن فتح عينيه حتى وقع بصره على خالد الذي نظر إليه في لوم، فأشاح بوجهه عنه لينظر في الفراغ، فابتدره خالد قائلًا:

- يوسف.. كيف حالك؟

لم يرد عليه بل ظلَّ ساكنًا كقالب طوب لا يقوى على الحراك، ولم ييأس خالد وقال متسائلًا:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- يوسف.. لم فعلت ذلك؟!! لم أردت أن تنهي حياتك بهذا الشكل؟! لمَ؟؟ أجبني لا تظل صامتًا !!

ظل يضغط عليه ليتحدث، كان يوسف كزجاجة مياه غازية من كثرة الضغط عليها ستنفجر في أي لحظة.

ما كان يريده خالد أن يخرج كل الانفعالات التي تجيش في صدر يوسف بأي طريقة، أن لا يتركه حبيس أفكاره وظنونه التي ستقتله، أن يخرج من قمقم الخيالات التي تراوده، فإذا بيوسف يلتفت إليه فجأة بعين تبكي في صمت.. قائلًا له:

- أنت لا تشعر بي.. أنا بالنسبة لك مجرد حالة، لا تعلم بمدى الألم الذي يجتاحني ويمزق روحي، أنا مجرد فقاعة هواء.. حياتي مُدمَّرة، أشعر بالوحدة تمزق أوصالي، هل تعلم ما أشعر به عندما لا يسأل عني أحد؟! أنا أفتقد أماني وحمايتي في الحياة؟! سألت نفسك ما الذي أشعر به جراء تناولي لهذا الدواء البغيض الذي تلقمونني إياه في كل صباح ومساء؟ ! هل شعرت يومًا أن الدواء الذي سيجعلك تعيش طبيعيًا يجعلني لا أرى جيدًا، ويجعل حلقي كصحراء جافة، ومعدتي كبحر هائج يريد أن يلفظ أسماكة بغير إرادة منه، لماذا أعيش على هذا النحو، لماذا عليَّ أن أتحمل !! ليس عندي من أعيش من أجله.. هل فهمت الآن لماذا أريد أن أتخلص من حياتي!!

سكت خالد قليلًا ليعطي الفرصة ليوسف ليلتقط أنفاسه بعد أن أفرغ شحنة الغضب التي بداخله ثم همس له بإشفاق بالغ قائلًا:

- عندك أنت، عش من أجل نفسك، أنت من تستحق تلك الحياة بكل ما فيها، أما بالنسبة لما يسببه لك الدواء، تعلم جيدًا أنه بعد فتره تزول تلك الأعراض.. ألا تستحق حياتك بعض المقاومة !!!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- حياتي.. !! حياتي لا معنى لها، لقد تحملت كثيرًا وثابرت من أجل أن أحقق أمل أبي وأمي. أما الآن..

صمت ثم أطرق بعيدًا وهو ينظر إلى النافذة المسيّجة بقضبان حديدية مادًّا ذراعه تجاهها قائلًا:

- أما الآن.. فأنا حبيس داخل تلك الغرفة إن صح التعبير تلك الزنزانة المرفهة.

زفر خالد بقوة ثم قال:

- تعلم أنها مجرد احتياطات من أجلك.. أنت لست حبيس الغرفة، أنت حبيس نفسك، تستطيع أن تخرج وتمارس الرياضة، تستطيع أن تحضر جلسات العلاج الجماعي، وأن تتسامر مع رفقائك هنا.. أنت لست وحدك كما تظن، أنت من خلقت تلك الغرفة بداخلك وبنيت لها أسوارًا حديدية وأخذت تعلي في بنيانها حولك وتضيقها عليك أكثر فأكثر كأنك تريدها أن تطبق على أنفاسك ولا تفكر في أن تخرج منها، عليك أن تعترف بذلك.

نكس يوسف رأسه وغطى وجهه من جديد بكلتا كفيه وأجهش في البكاء، ثم قال بصوت تخنقة العبرات:

- أنا لا أعلم ماذا أفعل، لا أعلم .. أشعر أنني تائه.. تاااااائه ولا سبيل لي في الخروج من تلك الدوامة التي تحيط بي من كل اتجاه.
- أنا بجانبك.. لقد وعدتك.. هل تثق بي؟!
- نعم أثق بك ولكن لا أثق بنفسي !
- دعك من هذا يا عزيزي، فأنت تعلم قدراتك جيدًا.. أخبرني إذن ما الذي حدث لأبيك وأمك.. علمت منك أنك تعيش وحيدًا.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

مسح يوسف وجهه بكفيه ومازالت آثار الدموع عالقة بجفنيه ثم قال:

- نعم أعيش وحيدًا، أتجرع الوحدة في كل يوم، أجعلها تتملكني وتنهش بي كالوحش الكاسر..

منحه خالد نظرة مشفقة ثم قال:

- الوحدة ليست موحشة كما تراها.. نحن من نرى الأمور كما نريد، عندما نريد أن نبتعد عن الناس تكون وقتها الوحدة ملجأ لنا، وحينما يبتعد عنا الناس حينها نجدها مكانًا موحشًا مظلمًا.. في كلتا الحالتين إنها الوحدة لم يتغير معناها ولم يتغير مفهومها.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

ثم أردف قائلًا:

- أرى أن حالتك اليوم أحسن.. الحمد لله إن الجرح لم يكن عميقًا، ما رأيك أن ترتاح قليلًا ثم نخرج للحديقة، الجو صحو اليوم على غير عادته في مثل هذه الأيام.

وافق يوسف بهزة من رأسه، فأكمل خالد حديثه:

- سأتركك الآن وأنهي جولتي على باقي المرضى وسأصطحبك بعدها بنفسي إلى الحديقة، لنتريض قليلًا فقد اشتقت للمشي تحت أشعة الشمس الدافئة.

تركه وأغلق الباب خلفه مناديًا على وفاء أن تعطيه الدواء، واطمأن أنها أودعت عينة الدم لمعمل التحاليل وأكد عليها ريثما تظهر النتيجة تأتي إليه بها على الفور.

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ذهب خالد لغرفته الكائنة في آخر الرواق بعد أن أنهى تفحص حالات مرضاه، ثم جلس على مكتبه ليكتب النقاط الرئيسية التي سيبني عليها التقرير الذي سيقدمه للدكتور طاهر. ولكنه ما إن أمسك بالقلم حتى تركه ثانية وآثر أن يكتب النقاط بعدما يمشي مع يوسف في الحديقة قليلًا ليستكمل بعض المعلومات فمازال هناك الكثير لا يعلمه عنه، استند على كرسيه وهو يشعل سيجارته، ثم أخذ نفسًا عميقًا منها، وأخذ ينفثه بهدوء وهو يفكر:

- ترى ماذا يوجد في جعبتك يا يوسف أكثر مما أفضيت به؟؟!

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

نشتاق إلى أشعة الشمس.. نعم ولكن قبل أن تلفحنا
أشعتها نحتاج أن تدخل بنورها داخل قلوبنا لنشعر
بقليلٍ من الدفء

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(11)

جلست وفاء مع زميلتها المناوبة معها تتناولان طعامهما في فترة الغذاء، وبالطبع لا تخلو تلك الجلسات من النميمة والكشف عما يحدث في بيوتهما غير آبهين لشيء اسمه الخصوصية، مع بعض التعليقات السافرة على حياة كلتيهما تتبعها ضحكات ماجنة لا تعرف سببها سوى أنها هروب من واقع مزري تعيشان فيه. وفجأة تجمدت تلك الضحكات على أثر سماع خطوات رجالية في الرواق تنبئ بقدوم أحد الأطباء.. بالطبع إنه طبيب فالمرضون ينتعلون (الشباشب) لتسهّل عليهم الحركة، بينما الأطباء ينتعلون أحذيتهم فهي مكملة للوضع الاجتماعي المسمى بـ (البرستيج).

أتى الدكتور خالد ورمق الاثنتين بنظرة جانبية ثم التفت إلى وفاء قائلًا لها:

- هل تناول المريض 703 طعامهُ؟؟
- نعم يا دكتور وأعطيته دواءه أيضًا.. هل هناك شيء؟!

أجابها باقتضاب.. أن لا.

وما إن وصل خالد لغرفة يوسف حتى فتح الباب وعلى وجهه تلك الابتسامة الرائقة:

- هل استعديت للنزهة المتواضعة التي عرضتها عليك أم لا؟
- وماذا عليَّ أن أفعل.. هل سأشتري المسليات لها مثلًا.

شعر خالد بتلك النبرة المحزونة في صوت يوسف ولكنه تجاهلها:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لا عليك.. كل شيء موجود هنا، اعتبرها خدمة خمس نجوم ما رأيك؟!
- ليس أمامي خِيار، أنا جاهز.
- إذن هيًّا بنا.

مشيا سويًا داخل أروقة المصحة، قطعا الرواق، ثم نزلا الدرج، وفي النهاية وصلا للحديقة. لم تكن مبهرة بدرجة كبيرة، كانت حديقة عادية مخصصة للمرضى الذين ينزلون فيها فيتوهون داخل متاهاتهم الخاصة غير مكترثين بما هو كائن حولهم، لم يكن يوسف يختلف كثيرًا عن باقي المرضى؛ فكان يفكر مثلهم لا يهمه الزهور التي هي في طريقها للتفتح، ولا أشعة الشمس التي ترمي بخصلات شعرها الذهبي على الأرض الخضراء، لم يكن يرى سوى تجمعات الضباب المتراصة في رأسه، لا يبذل أدنى جهد في أن يجعلها تنقشع ليرى الجمال الذي في الطبيعة. اقتحم خالد تلك التجمعات التي تحوم في رأسه فجأة قائلًا:

- الجو جميل اليوم، هل تعلم لا أحب التقلبات الجوية.
- التقلبات الجوية أخف وطأة من التقلبات التي تعانيها النفس.
- نعم بلا شك.. ولكن التقلبات الجوية لا نستطيع أن نسيطر عليها، ولكن التقلبات النفسية نستطيع أن نفعل.

لم يؤيد يوسف كلام خالد لأنه في حال أيَّده كان إيذانًا منه بأنه يستطيع أن يتحكم في تقلباته ثم أردف قائلًا:

- لا أظن ذلك.. فلا شيء يستطيع أن يحميك من نفسك.
- هل تعتقد؟! حسنًا.. دعك من هذا، تعال لنجلس قليلًا فلقد تعبت لي فترة لم امشِ ماذا عنك؟
- نعم.. أنا أيضًا تعبت.

جلسا على مقعد من المقاعد الموضوعة في الحديقة ثم اعتدل ليوسف الجالس بجانبه ليبدأ حديثه:

fb/Sa7er.Elkotob ساحر الكتب لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- إذن ستخبرني بما حدث فيما بعد وكيف كانت حياتك؟
- حياتي كأي طفل يملؤها اللعب واللهو والدراسة والكثير من العناد.
- كيف كانت علاقتك مع أبويك؟
- أمي كانت حنونة ولكنها صارمة.. كأي امرأة إنجليزية لكل شيء عندها قانون ومن يخرج عن القانون يعاقب أيًا كان.
- هل كانت تعتدي عليك بالضرب؟!
- نعم ولكن سرعان ما كانت تحتضنني، رغم كل شيء كنت أحبها.
- ووالدك؟
- والدي له تأثير كبير في حياتي.. جعلني أنمّي كل موهبة بداخلي، أحببت من أجله القراءة؛ فمنذ صغري كان يأتي بتلك القصص ويقرأها لي قبل أن أنام، وغرس بداخلي قيم ديني؛ ففي بلد أجنبية تذوب هويتك العربية وتنسى أنك مسلم ولكن أبي لم يكن عنده استعداد لذلك، كان سعيدًا باستيعابي، ولم تكن أمي لتتدخل في تنشئتي الدينية فكانت مؤمنة بأن نستطيع أن نعيش سويًا رغم اختلاف ديننا وكنت أحترم فيها ذلك.
- هل كنت سعيدًا بحياتك في لندن؟
- نعم.. جدًا، الحياة هناك أشبه بمنظومة متكاملة ، لا ينقصها شيء.
- وكيف كنت تمضي أوقاتك.. هل كان لك أصدقاء؟
- نعم كان عندي العديد من الأصدقاء الذين خسرتهم بفعل نوبات هوسي، وسئموا من جنوني الذي كان يستفزهم في كل شيء أفعله.. لم أكن أجن عليهم بقدر ما كنت أتقِه كل عمل جيد يقومون به.. لم أكن أفعل ذلك عن قصد ولكن.. كان في اعتقادي دومًا أنني الأفضل.. الأفضل دائمًا.
- أو لم يقدروا حالتك؟!

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- ليس تمامًا.. أنا نفسي لم أكن على عِلمٍ بحالتي. ولكن أرهقتهم بكلماتي المتسارعة وقفزاتي بين الموضوع والآخر.. هل تعلم في يوم كنت متقد الذهن وكنت في حالة نشاط استمرت ثلاثة أيام على التوالي، وفي ظِل سكون الليل هاتفت صديقًا لي وأنا أمام منزله وظللت أصرخ مناديًا عليه وأنا أضحك وألفّ وأدور بجنون لدرجة أثارت حفيظة الجيران حوله، وطلبوا لي الشرطة، وكبَّلني بعضهم، لولا أن خرج صديقي وهو في حالة يرثى لها، وخلصني من بين أيديهم، ومن يومها وهو قطع علاقته بي ونعتني بالجنون، لأنه كان سيتم التحفظ عليَّ بتهمة الشرب.. ووقتها لم أكن مخمورًا. وهذا أيضًا ما أفلتني منهم.
- وهل كنت تشرب الخمور؟!
- نعم ولكن يومها لم أكن قد فعلت.. بل كنت أتناول المخدرات أيضًا، كنت أستمتع بحالة المخدر مع حالة الهوس، التي علمت فيما بعد إنها نوبة، واستمرت معي ما يقرب من ستة أشهر.
- والمرأة ما دورها في حياتك.. شاب مثلك من أصل عربي أعتقد أنه لا تقاومه الإنجليزيات.. (قالها ممازحًا ضاربًا على كتف يوسف).
- ذهب بعيدًا بناظريه في الأفق يقاوم الطبيعة أو يعاقب عينيه بالنظر إلى قرص الشمس، وما إن انكمشت حدقتاه حتى أغمض عينيه ونظر إلى الأرض في خزي:
- تحدث.. ماذا بك.لا تنسَ أني طبيبك.
- لم أنسَ أنك طبيبي.. ولن أنسى ما فعلت، صدقني ظللت ألوم نفسي كثيرًا ولم أسامح نفسي يومًا على ما فعلته بها، أتجرع كؤوس الألم والندم في كل يوم وليلة، لقد كنت مخمورًا ولا أدري لِمَ فعلت ذلك بها، كانت قد تملكتني رغبتي بها، شعرت بنيرانها تستعر داخل جسدي لم أهتم إن كانت لها ميول مكملة لي أم لا ولكني رغبت بها بشدة كانت تدعى (إيفا) فتاة كانت تحضر معنا في سهراتنا الماجنة.. قواما

ساحر الكتب
fb/Sa7er.Elkotob
للإنضمام للجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

يقاوم.. كانت تتقرب مني حبًا.. وأنا لم أرغب بها إلا جسدًا. وفي تلك الليلة شربت كثيرًا إلى حد التيه. كنت أحتاج إلى أن تؤلمني أن أشعر بيديها تصفعني.. أن أشعر بنشوتي في نظرة القسوة التي كنت أتمنى أن أراها في عينيها.. ولكنها كانت مستسلمة تمامًا.. أثارت غضبي بضعفها وبنظراتها الناعمة. لم أشعر بنفسي إلا ووجدتني أصفعها وأجذبها من شعرها وأرميها بنظرات قاسية مهينة.. كنت أريد أن أستفز غضبها لتخرج من حالة الضعف التي هي فيها إلى أن أجعلها تنتقم مني وبالفعل.. انهالت عليّ بالصفعات ودفعتني حتى ارتطم ظهري على الأرض القاسية.. لا أنكر أن صفعاتها الغاضبة أضرمت فيّ النار من جديد وجعلتني أنتشي.. ولكنها تركتني مع نظرة قاسية يملؤها الاحتقار ثم بصقت في وجهي وخرجت.. ولم أرها مرة أخرى ولم يكن ذلك يمثّل بالنسبة لي أي مشكلة.. فلم أكن أشعر بكل هذا ولكني سعدت باحتقارها. لم أغضب منه وأكملت نشوتي بنفسي. وأنا أسترجع نظراتها القاسية ولحظات الألم الناتج عن صفعاتها ولم أبه أو أهتم بها. فكم كنت وضيعًا في تلك الليلة.

- أحيانًا رغباتنا تكون مصدرًا لآلام كثيرة تلمّ بنا.. ولا نكون نحن المسئولين عنها.
- لا أعلم.. لم أترك شهوتي تتحكم بي يومًا. ولكن لم أكن في وعيي.. نعم كنت أقاوم رغبتي بها لعلمي أن ميولها لا تتفق معي ولكن.. هذا ما حدث.
- فلتنسَ ذلك. ضعه في سلة مهملات عقلك.. أخبرني إذن لِمَ تركت حياتك اللندنية وجئت لتعيش بمصر إذن؟!

أشاح يوسف بوجهه بعيدًا وكأنه يبحث عن إجابة رغم وضوحها بالنسبة له. لم يكن يحب أن يبكي أحد جراحه المستكينة بداخل القبر الكائن في قلبه.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

زفر زفرة يملؤها الوجع ثم قال:

- كنت أبلغ من العمر واحد وعشرين عامًا كنت عائدًا من جامعتي وأنا منتشي بعد جلسة طويلة مع أصدقائي، وعندما دخلت المنزل كانت أمي تجلس على كرسيها ناظرة من شرفتها كجلستها الدائمة، أو كما ظننتها أنا كذلك، اقتربت منها في مرحٍ ومن خلفها غطيت عينيها مازحًا لتخمن من الذي أتى ورغم أنه كان طقسًا يوميًّا بالنسبة لي فكانت دومًا تعلم أنه أنا. ولكن عندما فعلت ذلك لم أجد ضحكاتها التي تملأ المكان ولا تجهمها عندما تراني أدخل المنزل بحذائي المتسخ وجدتها مستكينة، كانت أنفاسها بطيئة ووجها شاحب شحوب الموتى وبداها باردتان، لم أعرف هل هي على قيد الحياة، أم فارقتنا إلا عندما أتت الإسعاف لتقلها إلى المستشفى.

عندما وصلنا للمستشفى كان أبي قد سبقنا إلى هناك، وعلى الفور دخلت أمي إلى العناية المركزة، وكان الواضح من حركة الأطباء المضطربة أن الأمور ليست على ما يرام، كنت أتوقع كل شيء إلا الخبر الذي حمله إلينا وجه الطبيب الشاحب الحزين، (إنها تحتضر).

أمي القوية التي كانت مثل الجبل الذي لا يؤثر به شيء، أمي التي لم أرَ دموعها قط، أمي الأمرة الناهية كانت تعاني من سرطان الدم، كانت تتألم في صمتٍ، لم تصدر منها آهة واحدة، لم تشكُ الألم وتصرخ مما تعاني منه، كانت قوية حتى في المرض، لم يكن سهلًا عليَّ أن أراها من خلف نافذة زجاجية مستلقية على فراش ومتصلة بكل تلك الخراطيم، ولا أرى من وجهها سوى عينين مغلقتين وبقايا وجه شاحب ويدان ممدتان على غير إرادة منها، أما أبي فكان جالسًا على الأرض بجانب قدميَّ مستندًا بظهره تحت النافذة الزجاجية لم يكن يقوى على رؤيتها بهذا الشكل، تلك المرأة المتسلطة التي يعشقها، ملكته وسلطانة قلبه.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

عندما أخبرنا الطبيب أنها في المراحل الأخيرة في المرض، أُصِبنا بحالة من الانهيار، ولكن كان عليّ أن أكون صامدًا لأكون بجانب والدي رغم أن الخبر نزل عليَّ كعاصفة فتتت ذراتي وأخذتني بعيدًا إلى اللامكان.

كان أبي مثل طفل على وشك أن يفقد أمه وكل حياته، دفن رأسه في صدري وأخذ يجهش بالبكاء بغير توقف كان غارقًا في بحر من الدموع. وكان عليَّ أن أنتشله منها وأنقذه من الغرق حتى لا أفقده هو أيضًا، ولكن لم أستطع أن أفعل!!. جعلني أكبت كل مشاعر الحزن بداخلي، كنت أريد أن أبكي مثل الأطفال أصرخ وأملأ الدنيا ضجيجًا بصراخي، أضرب الأرض بقدميَّ أن أخرج كل شحنة الغضب والحزن بداخلي، ولكن لم أكن لأستطيع.

شعرت بالمسئولية تجاه أبي لعلمي بمدى تعلُّقه بتلك المرأة التي كانت بالنسبة له أكثر من مجرد زوجة كانت له حياة بكل معانيها. سقط أبي من بين يدي لا يحرك ساكنًا، نعم كانا روحًا واحدة بجسدين لم يتحمل الصدمة، أخذوه من بين يدي وصراخي لم أستطع أن أسيطر عليه (ليس أنت أيضًا. أرجوك اصمد من أجلي) وياليته فعل!، لم يتحمل أبي الصدمة وكأنه ترك نفسه فريسة للفقد ينهش فيه حتى يرقد هو أيضًا بجانبها ولكن على فراش منفصل.

جلست أراقبهما من خلف النافذة الزجاجية لا أعلم على من أبكي أمي أم أبي.. أمي التي سوف يواريها الثرى بعد أيام قليلة ،أم أبي الذي لم يتحمل مرضها وكيف سيتحمل فراقها، لم أكن أدري ماذا عليَّ أن أفعل كانت الحيرة تملؤني وتزلزل أركاني.

كانت صدمة لي كل ما حدث وما سيحدث، ولكني كنت مجبرًا على أن أتحملها فالقدر فاجأني بما لا يمكن أن يتحمله أحد !

ومن بين جفوني المرهقة، خُيِّل لي أني أرى أبي يتحرك من خلف النافذة الزجاجية فأعدت النظر من جديد، نعم إنه يتحرك بالفعل تجاه فراش أمي

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

المستكينة في سلام، لو كنت أشاهد فيلمًا كلاسيكيًا لم أكن لأرى أجمل من هذا المشهد الذي عصف بي وجعلني أهتز من داخلي وكل ذَرَّة بي تبكي.

انحنى أبي على قدمي أمي وأخذ في تقبيلهما في هيامٍ بالغٍ..

للوهلة الأولى ظننته غير واعٍ لما يفعل ولكني وجدته مسترسلًا في هيامه وعشقه اللامتناهي ناسيًا كل شيء. وأخذ يدلك قدمها في حنوٍ بالغ، لم يرفع رأسه ليرى وجهها؛ فقد كان منهمكًا فيما يفعل كأنه طقس يومي عليه أن يتمه.

وما إن انتهى حتى أمسك بيدها الموصلة بالخراطيم اللعينة ووضعها على شفتيه كأنما يخبر كفها الرقيق بمكنونات قلبه، ثم رفع يدها المستسلمة على وجهه وأخذ يمسح تلك العبرات المنهمرة بلا توقف، وأسند رأسه في حذرٍ على صدرها النابض بدقات قلبها لعله يستمع قلبها يناديه أو يهمس باسمه، ولكن لم يكن ليستطيع أن يسمع شيئًا إلا نبضات قلب خافتة، وتلك الصفارات الرتيبة التي تدق مع كل دقة لقلبها.

لوهلة ظن أنه عندما يشاهد ذلك الجهاز الموصول بقلبها ليسجل ذلك الرسم الرتيب أنه سوف يجد شيئًا مختلفًا، سيرى وجهه سيرى حبها له، وبدأ في أن يتخيل ماذا لو كان هناك جهاز يخبرنا ما يشعر به الغائبون عن الوعي إذا ما كانوا يفكرون بنا وهم ف العالم الآخر أم لا.

لمحني أبي فأشار لي بالدخول، وما إن دخلت حتى استفاض بمكنوناته التي لا تنتهي في خفوت وأفضى بتخيلاته وظنونه، أشفقت عليه من كل ما فكَّر فيه ومازال يفكر فيه، فقد كانت عيناه زائغتين لا يستطيع أن يجعلهما تستقران على شيء واحد.

وذات يوم، انهار أبي على صدر أمي غير عابئ بأي شيء سوى أنه لا يستطيع أن يصدق أنه سيأتي يوم لن يستطيع فيه أن يحتضنها أو تحتضنه، وتمنى

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك
اضغط هنــــا

لو أن الوقت يتوقف عند هذه اللحظة، فإذا به يستفيق من انهياراته على يدها الحانية وهي تمتد حوله لتضمه في وهنٍ بالغ محدثة إياه في ضعف:

- لقد أثقلت عليَّ بصمتك، ولكني كنت أحتاجها.

نظر لها وعيناه معلقتان بعينيها ممسكًا بكلتا يديها يقبّلهما:

- أعتذر لكِ ملكتي فلم أتمالك نفسي.
- ملكتك على فراش الموت.
- لا تقولي ذلك فلا حياة لي بدونك.
- لن أقول شيئًا لا أريد سوى النظر إليكما.

وجهت حديثها لي، ابني الحبيب (جو)؛ فكانت تناديني بجوزيف للكنتها الإنجليزية، أشارت لي بيدها أن أقترب؛ فلا تستطيع أن ترفع صوتها لشعورها بوهنٍ يتملكها ويعصف بها، أخرجت كلماتها وأنفاسها تتقطع، اقتربت منها وجلست جوارها، دنوت برأسي منها فقبّلتني قُبلة لم أشعر بمثلها في حياتي، ولا أتذكر أنها قبّلتني مثل تلك القُبلة يومًا.

لا أعلم هل هذا نكران أم أنه لاستشعاري أنها القبلة الأخيرة، لم أكن أعي أيًا من ذلك؛ فكان عليَّ أن أستوعب تعليماتها على فراش الموت الكنيب وأن أحقق حلمها في أن تراني من السماوات العلى طبيبًا، لم أكن أجيبها بالموافقة، ولكني كنت أهز رأسي فقط لا أدري هل أوافق أم أني أريحها فقط أم أني أريدها أن تتوقف عن الكلام حتى لا يقترب منا شبح الموت في ثوبه الأسود ليخيم علينا.

ولم يخلف الموت موعده، وحدث ما كنا نخشاه وننكره، وماتت أمي.

ماتت ومعها سطوتها وسيطرتها وأمانها وحبها وحنانها..

ماتت ولم تترك وراءها سوى رجلين مهلهلين لا يستطيع أيٌّ منهما أن يستند على الآخر.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــا

غابت الشمس التي تضيء لنا حياتنا، فأصبحت حياة قاتمة كئيبة، ماتت القمر الذي يرمي بضوئه الفضي على لياليا السوداء، ماتت ولم تترك لنا سوى الظلام والدموع والخواء.

ماتت فضاع كل شيء، حتى أبي لم يتحمل أن يعيش بدونها يومًا واحدًا، لم يتحمل أن يرى ملكته تغوص في باطن الأرض في تابوت خشبي جامد، لم يتحمل أن يهيل عليها التراب وظلّ يصرخ ونحن في مراسم الدفن بأن لا، لا تهيلو عليها التراب، هل يُعقَل لملكة أن تهيلو عليها التراب، وانتابته نوبة هيستيرية حتى إن بعض أصدقائه أخذوه بعيدًا ولم يشاهدها وهي تودع الحياة إلى مثواها الأخير، بل ذهب هو إليها!!

أردف خالد قائلًا: ماذا حدث؟ هل تقصد ذهب لزيارتها؟

- كلا، انتابت أبي نوبة اكتئاب حاد بعد موت أمي، وأحيانًا كان يصرخ ويهذي بأنه يراها معه في كل مكان، وتساعده في إنجاز كل شيء، وعندما كنت أواجهه بحقيقة موتها، يظل يصرخ:
- لا، إنها لم تمت بل معه تعيش معي بكل تفاصيلها.

عندما ذهبت به للطبيب، شخَّص حالته باكتئاب حاد مع هلاوس سمعية وبصرية.

وعدت من جديد لنفس الدوامة التي لا تنتهي ماذا عليّ أن أفعل، افتقدت أمي حقًا حينها، كنت أحتاج أن يخبرني أحد ماذا عليّ أن أفعل، أن يخرجني من حيرتي أن يفكر بدلًا عني مثلما كانت هي تفعل.

ولم يكن عندي طريق سوى الهروب بالشرب والسهر والمخدرات، كنت أحتاج أن أبتعد ولكن لم يمهلني أبي وقتًا كي آخذ وقتي في التفكير أو حتى في الهروب، بل فوجئت به يغلق على كل منافذ التفكير وألجمني ما فعلَ وذهب بي إلى متاهتي العالق بها ليومنا هذا!

* * *

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

أن يتخلى عنك الجميع شيء مؤلم..

ولكن أن تتخلى عنك روحك بغياب أحدهم

فهو موتٌ محقق.

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

(12)

قال يوسف في غضب:

- أشعر أني خُلِقت من أجل أن أتلقى الضربات واللكمات الموجعة، كان موت أمي بداية الانهيارات، واحد تلو الآخر، رغم أنه لم يكن لي ذنب بمرضها ولا أنا من قتلتها بل قتلها المرض المشئوم، خطفها من بين أيدينا، نهشها ومزق كل شيء اختطف معه الدفء والسعادة، اختطف ابتسامتي، جعل روحي متهرئة كقطعة قماش بالية لا تصلح سوى أن تكون ممسحة قذرة، وهذا ما قدَّره لي القدر، أن أكون تلك الممسحة التي يمسح بها الآخرون أوساخهم وقبح أرواحهم!

قاطعه خالد مهدئًا:

- أحيانًا يفاجئنا القدر بأشياء غير متوقعه صفعات وركلات، وعلينا أن نظل صامدين أمامها ولا نركع لنتلقى المزيد من الركلات والصفعات الموجعة، يجب أن لا نعطيه ظهورنا ليكيل لنا المزيد منها بل ندير ظهورنا ونواجهه ونفغر أفواهنا أمامه ضاحكين غير مبالين.

نظر له يوسف نظرة غير مبالية ثم أكمل:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- حينما تكون طالبًا بالطب في السنة النهائية وعليك أن تجتاز كل ما أنت فيه، وتتحمل أبًا مريضًا لا يقوى على فعل شيء سوى الانكماش على نفسه ومحادثة أمك المتوفاة ماذا عليك أن تفعل؟!

قال خالد:

- أنت من ستخبرني ماذا فعلت؟

ضحك يوسف باستهزاء ثم نظر له نظرة جانبية، وقال:

- عندك حق، فما كنت أفعله لا أحد يستطيع أن يتخيله أو أن يضع نفسه مكاني.

حاولت بقدر المستطاع أن أهتم بأبي وأن أترك سهراتي السافرة مع أصدقائي، حاولت أن أكرّس وقتي له، ولكن مع الدراسة لم أستطع وحدي، فجلبت له ممرضة منزلية تهتم به، ولكنها لم تمنع ما قد قدَّره الله له وعليه ولي.

ففي غفوة منها غافلها وانتحر.

لم يفاجأ خالد بما قاله يوسف، ولكن الذي فاجأه ما حدث بعد ذلك، لم يكن يتخيل أن يكون الموت دراماتيكيًا لهذه الدرجة !!

أكمل يوسف:

- هل تعلم شعوري عندما فتحت الباب على والدي وجدته معلّقًا من السقف بحبل كانت تستخدمه أمي في لقاءاتهم الحميمة وسوط أمي ملفوفًا حول كتفيه، عاري الصدر وهناك ندوب وخربشات على صدره، وقدماه معلقتان في الفراغ.. هل تعلم أنه يطاردني بهذا الوجه المائل للزرقة، وعيناه الشاخصتان المتعلقتان بالباب كأنه كان ينتظرني

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

لينظر لي تلك النظرة المخيفة وفمه المفتوح ولسانه المتدلي عبره، إنه مشهد بشع، من أبشع ما رأيت، صدقني لم أكن أتمنى أن أرى أبي على تلك الشاكلة، ولا أعلم أين كان مخبئًا تلك الأشياء كأنه كان يبعث لي برسالة، " أنا لا أستطيع إن أعيش بدون تعذيب أمك لي "

لقد فقد اهتمامه بالحياة بفقدان أمي، ونسي وجودي تمامًا وصلة الدم التي تربطني به، وأني سبب آخر من الممكن أن يعيش من أجله.

لم أبكِ وقت رأيته هكذا بل صرخت حانقًا غاضبًا، أكسر كل ما حولي وأهذي بكلمات كثيرة غير مفهومة وأضحك ضحكات هستيرية، وأضرب بكل شيء أمامي، ثم أخذت السوط من حول كتفيه بعد أن صعدت على نفس الكرسي الذي كان يعتليه قبل أن يفارق الحياة، وأخذت أضربه في كل مكان أطوله من جسده.

لا أعلم لم فعلت هذا أو كيف استطعت أن أضرب أبي وهو ميّت ثم سقطت غير واعٍ لأي شيء، هذا كله والممرضة كانت تقف مدهوشة بما حدث تقف في حالة ذهول..

لا أعلم كيف تمت مراسم الدفن لأن وقتها داهمتني أولى نوبات اكتئابي التي علمت فيما بعد أنها النتيجة الطبيعية لفترة هوس استمرت لشهور، ثم انتقلت إلى أول مصحة نفسية، تخطو قدماي نحو أعتابها الباردة.. وكانت أول مرة أشعر فيها بذبذبات الكهرباء تتخلل عقلي وجسدي.. وهناك اكتشفت أني مريض بالهوس الاكتئابي، ذلك المرض الذي منَّ عليّ بمصادقته لكي أستطيع أن أعيش، ولا أعلم بعد لم عليَّ أن أعيش؟!!!

فرك خالد جبينه قليلًا ثم أشعل سيجارة كان لابد منها في ظل كل هذا التوتر الذي خيَّم على الأجواء، ثم أردف قائلًا:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- هكذا إذن.. وماذا فعلت بعد ذلك؟
- لم أفعل شيئًا.. ماذا تتوقع مني أن أفعل، بعد موت أمي لم أشعر باهتمام قط، شعرت فقط بأنانية أبي الذي لم يعِرني اهتمامًا بل تجاهلني كأنني غير موجود، كأنني مجرد حيوان منوي حقير تساقط منه في أوقات شهوته، أنا لا شيء شعرت وكأنني غثاء بلا أدنى قيمة، فقط الموت ما كنت أريده في هذه اللحظة و...

قاطعه خالد:

- الأمر ليس له علاقة بك، لم يكن أبوك يعي شيئًا، كانت صدمته بموت أمك أقسى من أن يتحملها.
- إذن بمن.. أخبِرني؟؟!!

لماذا فعل بي هذا؟! لماذا جعلني أحب حياته؟! لماذا جعلني نسخة منه؟! ولماذا تركني بدلًا من أن نتشارك الألم؟؟، جعلني أتحمل ألمه فوق ألمي، هو فقد زوجته وأنا.. أنا فقدت أمي التي لا أستطيع أن أعوّضها. الحياة كلها لا تستطيع أن تعوِّضني أمي.. تركتني وصرت أبحث عن شبيهة لها .. كنت أحلم بسطوتها، أحلم بتلك الحياة، علاقة لا يوجد بها مشاكل، حياة بها تقديس كامل، ولكن هل تعلم، هناك من النساء من يعشقن الإذلال والضعف لا تستحق أن تعيش كملكة متوجة.

استرسل يوسف منفعلًا في ظل صمت خالد ليترك كل تلك الانفعالات المكبوتة تخرج كعاصفة آن أوان هبوبها أو كوحش هائج يزأر زئير مرعب:

مكثت فترة ليست بالقصيرة في المصحة النفسية بلندن، وبعد أن استقرت حالتي ومع التوصية بتناول أدويتي اللعينة، ظننت أنني أصبحت بخير فترة من الزمن، مارست حياتي بعيدًا عن ذاك المنزل وبعت منزلي القديم

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

بذكرياته وخيالاته التي ظننت أنها ستبتعد عني، وابتعت منزلًا جديدًا صغيرًا يعبّر عني، حالتي المادية لم تكن سيئة على الإطلاق؛ فأنا ميسور ماديًا؛ فقد جنيت بعد وفاتهما إرثًا ليس سيئًا بل يعتبر ثروة طائلة، ولكني أهدرت منها الكثير في نوبات هوسي المتدافعة؛ فقد توقفت عن تناول العلاج بالطبع لأنه لم يكن هناك من يراقبني.

انخرطت في استكمال دراستي بنشاط بالغ، كنت أملك الأربع وعشرين ساعة كاملة، وكل ثلاثة أيام أو أربعة كنت أنام ساعة واحدة، لا أستطيع أن أخبرك كم كان هذا ممتعًا.. مما أتاح لي الوقت لأنهي دراستي بنجاح، ولكن بعد فترة من الهوس، هاجمتني انتكاسة اكتئاب شديدة، وبدأت ألوم نفسي على المال الذي فرّطت فيه على مشتريات تافهة لا حاجة لي بها. هل تعلم لقد ابتعت بيانو أثريًا من مزاد دفعت فيه الآلاف وأنا لا أعلم شيئًا عن الموسيقى.. شيء مؤسف حقًا، بالطبع بعد تلك الانتكاسة دخلت من جديد إلى المصحة النفسية.

نصحني طبيبي أن أبتعد عن كل شيء يزعجني، ونصحني أن أرى أماكن جديدة وأبدأ حياة جديدة في بلد آخر.. لم أفكر في أي بلد آخر سوى موطني الأصلي.. مِصر.

وبدأت حياة أخرى لي واستمرت الحياة في بصق قذارتها في وجهي ومواجتي بصرامة وجهها القبيح.

اعتدل خالد في جلسته واستند على مكتبه ممكسًا بقلمه، بعدما تركا الحديقة بعد استجابتهما لإنذار السماء بهطول الأمطار وكأنها كانت تتعاطف مع ما قد قيل وتبكي من أجله ثم قال ليوسف:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لا تتوقع من الحياة أن تكون اليد الحنون التي تربت على كتفك، إن لم تكن أنت من يضمد جراحك فلا تنتظر من أحد أن يفعل، ضمد جراحك واستقبل الحياة بوجه يبتسم، وقل لها " لن تهزميني "
- لا تعتقد أني لم أفعل، بدأت حياة جديدة كنت مندهشًا بجمال مصر ودفء شمسها والوجوه البشوشة رغم تقاسيم الالم المحفورة على وجوههم والضحكة التي تخرج مع كل موقف موجع.. استمتعت حقًا بتلك الحياة الجديدة، أجواء جديدة، وجوه مختلفة وأشخاص جدد أو هذا ما كنت أعتقده!
- إذن استأنفت حياتك العملية هنا في العاصمة..
- ليس تمامًا، لم أكن بحاجة للعمل بشكل فعلي؛ فكنت شغوفًا بعلم النفس، كنت أحتاج أن أدرس حالتي بشكل أعمق وبشكل أكاديمي أكثر.
- أها.. لم تخبرني ما هو سبب انتكاستك الأخيرة التي هي سبب وجودك هنا؟!
- سبب انتكاستي.. هو من أحضرني إلى هنا (حاتم) و من ينتمي إليه !!

* * *

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

نظن يومًا أننا نستطيع أن نبدأ من جديد

ولكننا نجد أنفسنا ندور

في نفس الدائرة المفرغة التي لا تنتهي.

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(13)

قبل الانتكاسة بشهر

لم تبتسم الحياة ليوسف ولا عبئت بمحاولاته في أن يرسم تلك الابتسامة الباهتة على وجهها العبوس، وفي كل لحظة كانت تفاجئه بأشياء لم يكن ليتوقعها، وتضعه أمام اختيارات لا يستطيع أن يختار بينها.

هبط يوسف إلى أرض الوطن، وطنه الذي لم تطأه قدماه قط وفي عينيه نفس النظرة التي كانت تملأ عيني والدته في أول مرة تزور تلك الأرض، لم تعتد عيناه كل هذا الكم من الغبار والدخان الذي يحوم فوق وطنه؛ فقد اعتادت مشهد الضباب والغيوم والأمطار والثلوج، ولأول وهلة عندما فتح باب الطائرة ليستقبل هواء وطنه المشبع بالأتربة لم يستاء أو يتذمر منه بل تنسمه بعمق كمن يتنسم عبير أرض الحضارات التي يعشقها كل مغترب عاش خارج وطنه.

شعر أن جذوره تناديه، تملكه إحساس أن تلك الجذور من الممكن أن تكون بالنسبة له بداية جديدة له فهو سيغرس في أرضه وسينمو ويبني حياة يتمناها، كان منبهرًا بكل شيء.. بحُسن التعامل في المطار وسهولة الإجراءات، بالطبع لم يكن ليعلم أن سهولة التعامل نابعة من جواز سفره البريطاني، فبرغم الملامح العربية والاسم الشرقي المسلم فهو مجرد جواز سفر أجنبي !، كانت غائبة عنه تلك المفاهيم المؤلمة !!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

نظر في وجوه الناس، ابتسم تارة وتارة أخرى اقتضب.. ما أجمل أن تصل وطنك وتجد من يتلهف لرؤيتك.. يأخذك بين أحضانه وتبللك دموعه ويمطرك بقبلاته، ولكنها تظل مجرد أمنيات..

نكس رأسه في شرود وخرج من المطار ليستقل سيارة لتوصله لفندق ريثما يرتب أموره، ولحظِّهِ العسر أيضًا كانت آخر سيارة تغادر من أمام المطار فيما عادا سيارات الناس الذين ينتظرون ذويهم.. فإذا به يقف تائهًا وبدأ يحدِّث نفسه: (حسنًا، ألا يمكنكِ أن تستقبليني استقبالًا بعيدًا عن التيه فقد سئمت منه !!) ثم ضرب بيده على عربة حقائبه ونطقها حنقًا (ماذا سأفعل الآن). لم ينتبه لوجود أحد يأتي من خلفه متجهًا للخروج فاصطدم به التفت إليه معتذرًا عما بدر منه، ولما كانت لكنة يوسف مصرية مشبعة باللكنة الإنجليزية فأثار فضول محدثه.

- لا تعتذر.. فأنا أيضًا كنت مسرعًا وغير منتبه.
- لا عليك.. دكتور يوسف " قالها وهو مادًا يده إليه ".
- أهلًا بك.. حمد لله على سلامتك..أنا حاتم!
- تشرفت بمعرفتك، تفضل لن أعطلك أكثر من هذا.
- لالا.. كنت أبحث عن حقيبة تائهة لأختي فقد وصلت للتو من لندن.
- حقًا !! أنا أيضًا وصلت الآن من لندن، حتمًا كانت على نفس طائرتي.
- أعتقد ذلك.. هل معك سيارة أم نوصلك معنا فإننا متجهان إلى القاهرة، ولعل طريقنا واحد .
- الحقيقة إني ذاهب للقاهرة بالفعل وتلك كانت مشكلتي .. فلم أجد سيارة لأؤجرها ولا أعلم ماذا أفعل؟
- لا عليك.. تفضل معنا وسأوصلك لأي مكان تريده.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وافق يوسف على الفور لم يعِ أنه من الممكن أن يكون عرضًا عابرًا من حاتم مما أثار استغراب الأخير، ولكنه عندما وصل للسيارة، وجد أخت الصديق الجديد مستلقية على الكرسي الأمامي تغط في نوم عميق بعد رحلة سفر استمرت خمس ساعات.

سرح قليلًا في ملامح وجهها النائمة وكأنها ملاك نائم، وخصلات شعرها البندقي تغطي نصف وجهها ليخبئ جمالًا أخّاذًا، انتبه على صوت حاتم، أعتذر منك فقد نامت مريم على الكرسي الأمامي هل تمانع إذا ركبت بالخلف؟!

- لا بالعكس فأنا لم يكن ليرضيني أن توقظها بالفعل الرحلة كانت مرهقه عليها.
- حسنًا.. هذا لا يمنع أن نستكمل تعارفنا في الطريق.
- أماء يوسف برأسه موافقًا.. واستقل السيارة، وبدأت رحلة التعارف الذي يشوبه شيء من الغموض !وكان أول سؤال من حاتم ليوسف:
- غريب أنه لا يوجد أحد يستقبلك في المطار، ألم تخبر أحد بموعد وصولك؟؟
- لم أخبر أحد لأن ليس لي أحد لأخبره بموعد وصولي.
- حقًا.. يبدو من لكنتك أنك قضيت حياتك بالخارج، أليس كذلك؟!
- نعم بالفعل.. لم آتِ إلى مصر يومًا رغم أن والدي مصريًا. وكم تمنيت أن أزورها، ولكني قد قررت أن أستقر هنا.
- حسنًا إذن.. اترك لي هذا الأمر، فأنا سأكون مرشدك السياحي (قالها وهو يضحك).

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- حقًا.. ولكني لا أريد أن أعطلك، ولا أخفيك أمرًا أني بالفعل أحتاج من يكون معي؛ فليس لدي منزل أعيش فيه ولن أظل كل هذا الوقت في الفنادق.
- لا عليك.. سندبر هذا الأمر إذا أردت وإذا قبلت بي صديقًا.
- بالطبع.. سيكون لي كامل الشرف.

تبادلا الابتسامات واستكملا الحديث سويًا في فترة نوم (مريم).

كان حاتم شخصًا شهمًا بكل ما تعني الكلمة، لم يكن ليترك يوسف وهو يحتاج لأحد بجانبه؛ فكان شغوفًا بمساعدة الناس. تعددت اللقاءات بين يوسف وحاتم، وفي تلك الفترة ساعده في أن يجد شقة، ولاحظ حاتم المستوى المادي الذي عليه صديقه، وكان يقف بجانبه أيضًا أمام استغلال السماسرة لكونه أجنبيًا غير معتاد على ألاعيب هؤلاء النصابين.

وفي تلك الرحلة المضنية من البحث على شقة يمتلكها يوسف، ومع الرحلات الاستكشافية كان من ضمن شهامة حاتم أن يدعوه يومًا أو أكثر لمنزل العائلة.

كانت عائلته عائلة راقية ومتفهمة، ولكنها كانت ملتزمة بالعادات والتقاليد، وكان يوسف خجلًا بعض الشيء من اقتحام حياة تلك العائلة المصرية، ولكنهم تقبلوه بشكل رحب، واعتبروه كحاتم تمامًا..

كان حاتم يقيم في (كومباوند).. مع أمه وأبيه ومريم والخادمة، لم يلتقِ بالأب لسفره.. ولكن سمع من حاتم حكايات كثيرة عنه وعن عمله وحياتهم قبل أن ينتقلوا للعيش في هذا المكان، وكيف كانوا يعيشون مع جدتهم في حداثة أعمارهم.. وكيف أنه لا يتذكر الكثير عنها؛ فكل ما يذكره شبيه بأطياف وخيالات تمر به.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

استراح بينهم وشعر بالألفة والجو الراقي الذي يشبه ولو بعض الشيء حياته اللندنية المرفهة، وبالطبع آثر حاتم على أن يكون يوسف جارهم وعمل على ذلك وبالفعل ابتاع منزلًا يبعد عنهم ب ثلاث (بلوكات).

لم تتضايق سيدة المنزل من وجود يوسف؛ فقد كان يعاملها معاملة ملكية ليست هي فقط بل مريم أيضًا . معاملة أسعدتهم بقدر ما أدهشتهم، كأنه رجل يأتي من تلك العصور الأسطورية راكبًا جواده ويحمل سيفه وما إن يرى أنثى على الفور يترجل من على جواده الأبيض وينحني مقبّلًا يدها وينعتها بسيدتي.

كم كان رائعًا بالنسبة لهم واعتبروه شيئًا خياليًا وغير مسبوق. مما أثار مشاعر مريم تجاه يوسف وكان مرحَّبًا به من قبل والدتها؛ فهو يعتبر في مفهوم كل الأمهات (عريس لقطة) وكانت تجلس معها تعدد لها من مميزاته؛ فهو طبيب وله مكانة، ومعه الجنسية البريطانية تلك البلد التي تعشقها مريم، ومعه ثروة ويعامل المرأة باحترام بالغ والأهم من هذا كله أنه (مقطوع من شجرة) أو هذا ما اعتقدت !!

بدأت مشاعر مريم تنمو أكثر فأكثر بدون أن يعلم عنها يوسف شيئًا؛ فهي لم تكن الطراز الذي يفضله رغم جمالها المصري الرقيق، ولكنه وجدها مستكينة لا تمتّ للسيطرة بشيء، لم تكن تشبه أمه، ذلك الشبح الذي يطارده ويحلم أن يمسك به على أرض الواقع.. وبدأ التلميح له من قِبَل مريم ومن قبل والدتها. وبدأوا في إتمام ما خططوا له.. من حياكة الشبكة التي سوف يتم بها اصطياد (عريس الغفلة) ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن!!

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

عندما هيئوا جلسة ليجلسها يوسف مع مريم وحدهما وكان ملاحظًا انسلالهم واحدًا تلو الآخر؛ الخادمة ثم الأم في غير وجود حاتم، الذي لم يكن على علم بأي من ذلك، وتم دعوة يوسف من قِبل سيدة المنزل (علياء) فما كان عليه سوى أن يلبي الدعوة في خضوع.

ولكنه قد انتبه للموقف الذي وضع فيه ريثما كست الحمرة وجه مريم في خجل وهي تنظر إلى عينيه قائلة:

- سعيدة بتواجدك هنا اليوم، شكرًا أنك قبلت دعوتي ودعوة أمي.
- الشكر لكم آنستي، ولكن أين حاتم ظننت أنه سيكون متواجدًا.
- لا ليس متواجدًا الآن، لقد ذهب ليستقبل أبي في المطار؛ فقد كان اليوم موعد وصوله من سفره.
- حقًا.. حمدًا لله على سلامته.
- أحببنا أن تشاركنا هذا الطقس العائلي، وأن تكون متواجدًا حين يصل أبي من السفر، فنحن نعتبرك واحدًا منا.
- لي الشرف بالطبع يا هانم.
- أرجو أن لا تتكلف معي في الحديث قل لي مريم فقط.
- ولكني لا أتكلف بل إنه يجب على أن أناديك بالهانم .
- أعلم إنه من فرط أدبك واحترامك ولكني أريد أن تتعامل معي كـ....

قاطعها يوسف باحترام بالغ:

- كأختي أليس كذلك؟!

احتقن وجه مريم ووصل الخجل منها مبلغه فلم تكن تتوقع أن يقول لها هذا وحدثت نفسها " أختك !! هل هذا كل ما فكرت فيه تجاهي!!" ثم قاومت

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

عبراتها التي تجمعت في مقلتيها. ولكنها آثرت أن تستخدم آخر سلاح لها حتى ولو سهين كرامتها.

- أختك !! ولكننا لسنا إخوة، أنا .. أنا.. (ترددت قليلًا قبل أن تنطق بها) أنا.. أحبك

- وأنا أيضًا أحبك ولكن كأخت لي.. فمنذ وطأت قدماي تلك الأرض وأنا ليس لي أحد غيركم.

- ألم يأتِ ببالك شيء آخر؟!

- على الإطلاق.. وهذا لا يمنع احترامي البالغ لكِ وحبي، أرجوك لا تغضبي مني، ستفهمين ذلك فيما بعد عندما يحين موعده.

قالتها وهي تهب من مقعدها واقفة وأن موعد هطول الدموع المرتكزه على حافة جفونها معلنة بموعد انهيار وشيك.

- أفهم ماذا؟! أنا لا أريد أن أفهم شيئًا بعد الآن.

وانصرفت مهرولة حتى إنها اصطدمت بحاتم الذي كان داخلًا لتوّه عليهما وفاجأته شلالات الدموع المنهمرة من عيني مريم ووجهها المكفهر. وفاجأه وجود يوسف في غيابه لكن لم يستطع أن ينطق بشيء؛ فقد كان على إثره دخول والده من باب المنزل فأجَّل محاكمته ليوسف ريثما ينتهي من التعريف الميكانيكي بين صديقه وأبيه.

- يوسف.. هذا أبي الذي حدثتك عنه.

أبي هذا صديقي يوسف الذي كان موضوع حديثنا في الطريق ولم أكن أتوقع وجوده في استقبالك (رماها مع نظرة جانبية ليوسف)

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

مدَّ أبوه يده مرحبًا بالعضو الجديد في العائلة أو ربما كان غير ذلك ! من يعلم !!!

- أهلًا يوسف.
- أهلًا بك.. حمدًا لله على سلامتك.. لم أكن أعلم بموعد وصولك وإلا كنت أتيت مع حاتم لاستقبالك.
- لا عليك يا بني.

أثارت تلك الكلمة الشجون بداخل يوسف والتمعت عيناه بدمع كان قد ظن أنه قد جف، وما إن تجمعت حتى ابتلع دموعه بغصة في حلقه، ثم استأذن مغادرًا بحجة أن يترك والد حاتم يرتاح واعدًا حاتم بلقاء فيما بعد. أو ربما لقاء عائلي سيغير الكثير من المفاهيم عنده وعند الجميع.

خرج يوسف من عند حاتم وهو يفكر فيما حدث وتدور كل الأحداث في رأسه من أولها لآخرها، لم ينس نظرة حاتم المملوءة بالحنق والغيظ منه، ولم ينس وجه أبيه؛ فكان إلى حدٍّ كبير مألوفًا له ولا يعلم سر تلك العبرات التي تجمعت في عينيه عندما ناداه بيني.. فقد سمعها بصوت أبيه أو ربما هُيأ له ذلك.. تدافعت الأفكار في رأسه مما نغص عليه قراءة كتابه الذي فتح دفتيه ليغوص فيه بدلًا من أن تبتلعه أفكاره، فأول ما قرأ كان:

" دع الخيال المُجنَّح ينطلقُ بعيدًا في سماءِ فِكر أرحب، وافتح بابَ سِجن العقل على مصراعيه "

وكيف لي أن أفتح سجنًا قد أغلق بابه السجانون بأقفال ضخمة وليس لي علمٌ كيف السبيل لأفتحها... !!!

" نشط عقلك.. فهناك مناطق في المخ واضحة لتحديد وإدراك وجه من نحب.. ربط كلمات جملة واحدة "

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

أين هو عقلي الذي تريدني أن أنشّطه.. ومن هؤلاء الذين يجب عليّ أن أحدد ملامحهم.. أنت تهذي..

ثم أغلق كتابه بعدما أيقن أن محدثه يعيش في بُعدٍ آخر لا يجد عنده إجابة لأسئلته!!

*****

لم تخرج مريم من غرفتها طيلة اليوم، افتقد وجودها أبوها؛ فما كان منه إلا أن يلجأ لسؤال أمها عنها فأجابته:

- لا تقلق إنها في غرفتها تشعر ببعض الصداع.

كانت مريم بالنسبة لوالدها طفلته المدللة، قطته الناعمة التي لا يرفض لها طلب أيًا كان، انزعج لسماعه أنها تعاني من بعض الصداع، ذلك الصديق الوفي الذي يلازم أغلب البشر ليس لأنهم لم ينالوا طلبًا لهم بل من كثرة الضجيج الذي تعج به رؤوسهم.

هبَّ من مكانه واقفًا قاصدًا غرفتها، لم تفلح الأم في أن تمسك به؛ فقد كانت ردة فعله أقوى منها.

دخل غرفتها بدون استئذان، وجدها تخفي علامات البكاء من عينيها وتمسح دموعها من على وجنتيها ولكن فضحها احمرار عينيها وأنفها الصغير.

- غاليتي ماذا بكِ، هل الألم الذي في رأسك شديد لهذه الدرجة؟!

كانت قد لحقته علياء مشيرة لمريم أن تجاري والدها فيما قاله للتو:

- نعم.. رأسي يؤلمني أشعر أنه يتكسر.
- ولم لم تخبرينا حبيبتي حتى نطلب الطبيب.
- الطبيب !! (جال أمام ناظريها يوسف فأجهشت أكثر بالبكاء).

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

نظر الأب لعلياء نظرة عدم الفهم ثم نظر لمريم ورفع مقدمة رأسها بأصابعه.

- ابنتي الحبيبة ماذا بكِ؟ المسألة ليست مسألة صداع ماذا بكِ؟

سألها وهو يضمها إليه بشدة، وما إن ضمها إليه حتى زاد النشيج وانتحبت أكثر.

سحبته علياء من يده خارج الغرفة؛ فلم يكن أمامها خيار سوى أن تخبره بما حدث، فلم تفلح مريم في استكمال الكذبة على أبيها، ولم تستطع أن تتمالك دموعها فخذلتها وانهارت معلنة أنها تشعر بألمٍ نفسي لا تستطيع أن تسيطر عليه.

قصت عليه علياء القصة كاملة من أول يوم دخل فيه يوسف المنزل، أخبرته باسمه وحياته اللندنية وثروته وكل شيء، لم يكونوا يحتاجون مالًا أو جاهًا أو مركزًا اجتماعيًا، بل كل ما كانوا يأملون فيه أن تعيش ابنتهم بنفس المستوى الذي يعيشون فيه.. مثل أي أسرة مصرية، هدأ الأب واطمأن قليلًا طالما المشكلة عاطفية فهي محلولة، ليس هناك مشكلة على حد تقديره !!

ولكن حاتم لم يكن يعلم بأي شيء من هذا، وكان الدم يغلي في عروقه برغم الحياة المنفتحة التي يعيشها فقد تربى على أن يكون رجلًا ولم ينبت له (قرون) بعد.. فلم ينتظر كثيرًا.

وما إن أتى المساء حتى استقل سيارته قاصدًا بيت صديقه أو الذي اعتقد أنه فقط صديقه! وكانت المواجهة صادمة.

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

الخيال أحيانًا يكون حافزًا لنعيش من أجل أن نراه
متجسدًا حتى ولو كان ضبابًا

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(14)

من جديد في المشفى..

يجلس يوسف في غرفته يطالع كتاب (سجن العقل) الذي حصل عليه من مكتبة دكتور خالد ليمضي الوقت به، ويخرج من حالة الروتين اليومي الذي كاد أن يبتلعه، والذي فرح كثيرًا لتواجده في مكتبة طبيبه فلم يحالفه الحظ في استكماله قبل دخوله المصحة..

لم يكن يحب مخالطة الناس كثيرًا أو زملاءه في المصحة، حتى جلسات العلاج الجماعي، رفضها.. اكتفى بأدويته ذات الأعراض الجانبية العنيفة، وقد أعلن لا مزيد من العذابات وآثر أن يظل داخل فقاعة الهواء التي صنعها لنفسه؛ فلم تعد له طاقة للمزيد من المتطفلين على حياته؛ فهناك مرضى شغلهم الشاغل معرفة ماذا يجول في خاطر الآخرين.

كان يخجل من مرضه.. خائفًا دائمًا من تلك الخيالات ودومًا كان يسأل نفسه: (ماذا لو هاجمتني وأنا بينهم حتمًا سيلقبونني بالمجنون). لم يكن يعلم أن الجنون أخف وطأة من تخاريف العقلاء !!

نظر في الساعة وجدها الواحدة ظهرًا، ظلَّ ينظر لباب الغرفة وكأنه على موعد لم يتحقق.. طال انتظاره ثم بدأ يتحدث معها:

- تأخرتِ عليَّ كثيرًا اليوم، انتظرتك البارحة طيلة الليل لمَ لم تأتِ؟؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

أجابته وهي منهكة والوهن يتملك صوتها:

- اشتقت إليك يا صغيري فهلا اقتربت؟

قام مسرعًا نحو الباب مستندًا عليه بكلتا يديه واضعًا خده الأيمن عليه كأنه يحتضنها:

- أمي اشتقت إليكِ حقًا لا تتركيني فأنتِ من يؤنس وحدتي!!

أخرجته دقات الباب من هلاوسه التي تطارده بين الحين والآخر، ولكن نظرته لم تفارق الضباب الذي يغلف الباب ولا صورة أمه الجالسة على كرسيها تنظر إليه كأنها غيرت وجهة جلستها المعتادة ،التي تنظر من خلالها على حديقة المنزل إلى وليدها الذي تركته في منتصف الطريق وحده..

فتحت وفاء الباب بعد عدة طرقات خفيفة عليه وقد لاحظت عيني يوسف الزائغتين حينما رآها وعندما أغلقت الباب خلفها زالت حيرة عينيه فإذا بهما استقرا عليه من جديد، كانت نظراته يملؤها الشوق وتتجمع بهما عبرات تتحجر في مقلتيه. قاطعت شروده قائلة:

- دكتور يوسف، هل أنت بخير؟

أجابها بأنه بخير وعيناه ما زالتا على نفس الوضعية؛ معلقتين على الباب خوفًا من أن تغادره هلاوسه التي يشعر معها بالأمان، هزت رأسها غير مقتنعة بكلماته التائهة ثم أردفت قائلة:

- أتيت لأخبرك أن الدكتور خالد ينتظرك في غرفته، فهيًا بنا.

لم ينظر لها هذه المرة بل مسح بيده على الباب، وما إن سبقته وفاء للخارج حتى نطقها همسًا:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- لن أتأخر فلا تذهبي!

سمعته وفاء وهو يهمس ولكن لم تفهم ما قد قاله للتو:

- هل كنت تقول شيئًا؟!
- لا لم أكن أقول شيئًا سيدتي !
- سيدتي !!
- نعم..

قالها غير عابئ بكم التساؤلات التي قد تخطر على رأسها ولم يكن ينوي أن يجيب، سمعها تتكلم ولكن لم يعِ شيئًا مما قالت، شعر أن كلماتها اختلطت بالضوضاء الكائنة في رأسه. دخل المكتب على خالد وهو جالس على مكتبه وكان قد شرع في كتابة التقرير عن حالة يوسف. وما إن دخل عليه حتى حيّاه وأذن له بالجلوس.

- كيف حالك اليوم؟ وكيف حال جرحك؟
- حالي كمان هو. أما عن جرحي فيا ليت كل الجراح مثله تلتئم.
- كل جرح نهايته الالتئام.
- نعم، ولكن تظل ندوبه واضحة.
- ها أخبرني كيف كتابك الذي تقرأ.
- جيد.. ولكني أجلس وقتًا طويلا في الفقرة الواحدة أشعر أني فقدت قدرتي على الفهم، كما أن عيني يصيبها التشوش ولا أستطيع التركيز.
- لا تقلق، فهذا مجرد عرض سيتم تعديل جرعات العلاج؛ فقد مرَّ أسبوعان على وجودك هنا.
- حقًا.. !! أسبوعان.
- نعم، هل أعجبك الجلوس معنا؟ قالها مازحًا.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لا أعلم ولكني فقدتُ إحساسي بالوقت.
- حسنًا هيَّا بنا لنبدأ الجلسة ما رأيك؟
- أنا مستعد.
- توقفنا بالمرة الماضية عن سبب انتكاستك التي أتت بك إلى هنا.
- نعم، حاتم هو صديق لي أو ما كنت أعتقد أنه صديقي ! الذي التقيته بالصدفة أثناء عودتي إلى القاهرة ،و...

بدأ يوسف يقص على خالد ما حدث منذ أن هبط على أرض الكنانة، والموضوع الذي أزم الموقف بينه وبين حاتم ثم توقف عند تلك اللحظة التي سمع فيها صوت الطرقات على باب منزله وإذ به يفتح ليجد حاتم، واقفًا أمامه والشرر يتطاير من عينيه.

- أهلًا حاتم تفضل ماذا بك؟

دخل حاتم بدون أن ينبس ببنت شفة والوجوم يحتل قسمات وجهه راسمًا علامة المائة وإحدى عشر بين عينيه.

- أعلم أنك غاضب بعض الشيء ولكنـ...

قاطعه حاتم قائلًا:

- بعض الشيء!! هل تعتقد أني غاضب بعض الشيء، وجودك في منزلي في عدم وجودي، وعندما أدخل أجدك تجلس منفردًا بأختي وأجدها مهرولة إلى غرفتها باكية، هل هذا يجعلني غاضبًا بعض الشيء!!، أم أن مكوثك في مدينة الضباب حوَّل دمائك التي تسري في عروقك لمكعبات من الثلج ماذا تعتقد أخبرني؟!!!!!
- حاتم من فضلك اهدأ قليلًا أرجوك، لا داعي لكل هذا الانفعال.
- تكلم بدون مراوغة، أرجوك فلم أعد أحتمل.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- لم أكن أعلم أنك لست بموجود، لقد فوجئت باتصال من والدتك تخبرني بدعوتها لي على فنجان من الشاي لأنها تريدني في موضوع هام، وعندما ذهبت وجدت مريم هي التي في انتظاري مع والدتك ومن ثم انسحبت السيدة علياء خارجة وتركتنا وحدنا.

ثم أطرق في الأرض قليلًا كأنما ينتقي الكلمات التي سوف يلقيها على حاتم وهو في ثورته تلك، ولكن لم يجد كلمات أخرى، أخذ نفسًا عميقا واستجمع شجاعته قائلًا:

- حاتم، أريدك أن تهدأ، لقد لاحظت على مريم انجذابها نحوي، ولكني والله ليس لي يد بهذا.

دُهِش حاتم مما سمع ثم قام من مكانه واقترب من يوسف ممسكًا بتلابيبه:

- لقد أمنتك على عائلتي ووثقت بك وها أنت تخون الأمانة فهل هذا جزائي.

أمسك يوسف أيدي حاتم وأنزلها في هدوء قائلًا له:

- أقسمت لك بالله إني لا يد لي بذلك.. فمشاعرها من طرف واحد، مريم بالنسبة لي ليست أكثر من أخت، ليست أكثر من ذلك صدقني، بل إني لم أحلم يومًا بالارتباط بها، فلي مواصفات خاصة لا تنطبق عليها ولم أخدعها بل صارحتها بذلك وأخبرتها أنها مجرد أخت لي ليس أكثر.

أجابه حاتم متهكمًا والسخرية تملأ وجهه:

- أها.. حقًا لك مواصفات خاصة !! وما هي هلا أخبرتني !!
- لا أعتقد أنك ستفهمني وأنت بتلك الحالة، أخبرني أولًا هل تصدقني أم لا.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- تكلم يا يوسف ولا تشعل النار التي تضرم بداخلي أكثر من ذلك فلم أعد أطيق.

لم يكن يوسف يفضّل أن يتكلم وحاتم بتلك الحالة، ولكنه كان مضطرًا لينفي تلك الشبهة عنه أنه أغوى أخته لتتعلق به وحاتم في غفلة عنه، ولكنه وضع نفسه في شبهة أكبر !!

- أسمعني جيدًا.. أنا مؤمن بسيطرة المرأة على الرجل وخضوعه لها.. ولم أرَ في مريم إلا فتاة رقيقة مستكينة لا تمتّ للسيطرة بشيء؛ لذا فهي لا تناسبني، فأنا أبحث عن امرأة تفرض سطوتها عليَّ.. فالمرأة عندي ملكة والأميرة التي سوف أحبها سأكون لها عبدًا، وسأتوجها على عرشي سلطانة.. أخدمها ما حييت وأعيش تحت قدميها، لا مانع لدي في أن تضربني تنهرني تهينني تمارس ساديتها معي وأظهر خضوعي لها.. هل فهمتني الآن؟!!

قالها وهو باسط كفيه، ضحك حاتم بملء فيه حتى ظهرت نواجذه، وكاد أن يرتمي على الأرض مما سمعه للتو من يوسف ضحكات أثارت توترًا في نفسه ، شعر بصورته تهتز في عين صديقه الوحيد :

- لمَ تضحك، هل أخطأت؟!

اقترب منه حاتم لاويا شفتيه وفي وجهه نظرة استياء تقترب من الاشمئزاز:

- أخطأت.. لا لا بل أنا من أخطأ حينما أدخلت شاذًا منزلي.. قالها وهو يهم بالخروج.
- انتظر.. أنا لست شاذًا أو غريب الأطوار، أنا رجل مثلي مثلك، ولم ترَ مني ما يجعلك تقول ذلك.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

التفت له حاتم وهو ينظر له نظرة عدائية:

- حقًا؟!! رجل مثلي ولم تبحث عن امرأة بتلك المواصفات وهل يوجد امرأة بتلك المواصفات.. نصيحة مني يا من كنت صديقي ابحث عن رجل فهو الأصلح لتلك المهمة .

أطرق يوسف بعيدًا ثم قالها قهرًا:

- لم يكن لي يد بذلك .

ازدادت ضحكات حاتم أكثر ثم قال له:

- هل ستخبرني تلك القصة التي نسمعها من جميع الشواذ، لقد تم الاعتداء عليَّ وأنا صغير من خدامنا في غفلة من أهلي (قالها مرققًا صوته ليشبه أشباه الرجال).

انتفض يوسف من مكانه وكان قد بلغ منه الغضب مبلغه صارخًا في حاتم:

- أنا لست شاذًا لست شاذًا أنا رجل مكتمل الرجولة أكثر منك أنت يا من تعتبر النساء مجرد وعاء تلقي فيه بمائك القذر لتنبت نبتة قذرة مثلك، تعتقد أن المرأة مرتع لملذاتك وشهواتك الغبية، تهينها وتعذبها وتحتقرها وتلقي عليها باللوم إن لم تغسل لك جواربك المتسخة في حين أنك سبب كل العناء الذي بحياتها، المرأة قيمتها أعلى من ذلك لم تخلق لتنظف قذارتك ولا أن تتحمل تفاهتك، ولا تقلباتك المزاجية المتخلفة التي لا يد لها فيها.. سوى أنها ارتضت أن تكون ذليلة لمن هم أمثالك.

احتقن وجه حاتم ولم يتمالك أعصابه فألقم يوسف لكمة قوية في وجهه أردته أرضًا، وجرحت يده ثم بصق عليه وتركه مغادرًا منزله.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

دخل حاتم منزله وصدره يلهج مما حدث ويده مجروحة من لكمته القاسية على وجه يوسف.. فإذا بالجمع مجتمع في بهو المنزل لم يكن يتوقع وجودهم فهرعت إليه أمه وعلامات الفزع مرسومة على وجهها:

- ماذا بك.. ماذا حدث ليدك، ماذا أصابك؟؟

ألف سؤال في الدقيقة.. ويداها تكادان تمسكان بوجهه المكفهر.. أمسك يديها وأنزلهما بعنف قائلًا لها:

- لا تسأليني، أنت سبب ما أنا فيه الآن فلم السؤال؟

تدخَّل والده ثم قام إليه ناهرًا إياه:

- كيف تحدث والدتك بهذا الشكل؟! ماذا فعلت لك.. وسبب في ماذا؟

أجابه حاتم مستهزئًا ملوحًا بيده تجاه أمه وعلامات الغضب تتجسد في قسمات وجهه، وعينه تكاد تخرج من مكانها:

- أمي العزيزة.. تضع أختي في طريق يوسف وتتصل به ليأتي في غيابي.. وضعتني في موقف لا أحسد عليه معه. لقد أنبتت لي قرونًا لم يكن لي علمًا، إنها من أساليب التربية الحديثة أن تنبت الأم لابنها قرنين لتزوج ابنتها الرقيقة.

نكست (علياء) رأسها وزاغت عيناها فكانت الكلمات تخرج منه كالصاعقة تنبئ بهطول سيل من اللوم والعتاب اللامتناهي.

- حقًا فعلتِ ذلك يا علياء؟؟
- لم أكن أقصد شيئًا.. لم أكن أتخيل أن هذا ما سيحدث؟
- حسنًا.. اصعدي غرفتكِ فلا أريد أن أتحدث في ذلك معكِ الآن..

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

قاطعه حاتم.. ولم لا تريد التحدث الآن.. فالماء يجري من تحت قدمينا ولا ندري بشيء، نحن رجال هذا المنزل، أم أن تلك الحياة التي نعيشها أنستها طبيعتنا!! لقد برزت لنا قرونٌ بسبب فعلتها هي وابنتك المصونة.

جاءته صفعة من أبيه لم يكن يتوقعها.. أخرسته تمامًا وأجلسته مكانه، كاد بهم أن يقف ليحتمي بغرفته ولكن أجلسته صرخة من أبيه:

- اجلس فكلامي معك أنت.. واصعدي أنتِ لا أريد رؤية وجهك أمامي.

جلس حاتم وهو يكتم الغيظ بداخله فلم يستطع أن يكسر كلمة أبيه، جلس كطفل ينتظر العقاب وكأن كرسيه انقلب لكرسي تحقيق وأغلقت أضواء المنزل كله وسلط الضوء على وجهه:

جلس أبوه قبالته سائلًا إياه:

- حسنًا، أخبرني بما حدث..

تنفس حاتم بصعوبة.. أخذ ينظم تنفسه بعدما حدث ثم بدأ في الحديث، حكى له كل ما حدث من أول ما وجد يوسف في المنزل عند وصوله.. حتى كل ما حدث في منزل يوسف وكل الحوار الذي دار بينه وبين الأخير.

ففر الأب فاه واقتضب جبينه بشدة لا تكاد تعلم ما لون وجهه؛ فقد تلوّن بعدة ألوان بين الأصفر والأحمر والأزرق.. ثم نكس رأسه أرضًا وأخذ يهزها يمينًا ويسارًا رافضًا ما جاء برأسه !! ثم حدث نفسه في خفوت:

- "هل من المعقول أن يكون هو !!!! "

* * *

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

يحدث أن اشتياقك لأحلامك يصبح عارًا عليك

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(15)

نظر له خالد في وجوم ثم نظر في الوريقات التي أمامه وهو يدوّن بضع كلمات قائلًا:

- إذن حاتم .. قد فهم ميولك بشكل خاطئ؟؟
- نعم.. ما المشكلة لا أعلم؟! هل من الخطأ أن أقدس المرأة التي سأرتبط بها!! هل من الخطأ أن أشعر بمعاناتها وأحاول التخفيف عنها!! ما هو ذنبي إن كنت لم أرَ في أختها موصفاتي التي أحلم بها.. هل الجميع لهم حق في الحلم وأنا لا؟! لماذا أصبحت في نظره ونظر المجتمع شاذًا؟ تربيت في دولة ملكية تحكمها ملكة في الأحق بالحكم.. هكذا هي المرأة عندي.. ملكة.
- ليس الجميع من يتفهم ذلك.. والآن أنت في مجتمع شرقي بكل ما تعنيه الكلمة، ليس عليك التبرير فهذه قناعتك فلا تهتم، ابحث عن مصدر سعادتك أيًا يكن، طالما لا تضر به أحدًا أو نفسك ..
- هل تعلم أني لم أتفاجئ كثيرًا بفكرة حاتم عني؛ فقد قرأت كثيرًا عن مجتمعاتكم الشرقية المتخلفة بالرغم من أن أمثالي كثيرون فيها، ولكن يأبون الاعتراف بأنهم خاضعون لامرأة مسيطرة تدير لهم حياتهم، ولكن ما فاجأني ردة فعله العنيفة تجاهي. وبعد يوم من تلك الواقعة من جديد وجدت الباب يطرق كنت قد بدأت في نوبتي التي كنت قد نسيتها ونسيت أني مريض، تحركت متثاقلًا من فراشي كسلحفاة متجهًا نحو

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

الباب على أمل أن من يطرق الباب يملّ ويذهب، ولكنه لم يملّ ولم يذهب فسيارتي بالخارج كانت علامة على تواجدي في المنزل. تعالت الطرقات أكثر وأنا مازلت أجاهد حتى أتحرك لا أعلم كم من الوقت أخذته لكي أصل إلى الباب، ولكن بالنهاية وصلت.

- ومن كان على الباب !!؟ حاتم؟
- لا بل كان أباه !!
- وماذا كان يريد؟
- ليته كان يريد شيئًا.. بل جاء ليلقي قذيفة في وجهي ويتركني مضرجًا في دماء المفاجأة التي ألجمتني !!

******

في هذا التوقيت الحرج، كانت مريم شقيقة حاتم، تقف أمام استقبال المستشفى التي يقبع فيها يوسف وتظهر عليها علامات الإعياء وهي تسأل الموظفة:

- هل تخبريني عن رقم غرفة يوسف ضياء الدين؟
- المعذرة هل لي بمعرفة من تكونين..

ترددت قليلًا ثم نطقتها في توجس.. صديقة له !

- الدكتور يوسف عنده جلسة الآن.. والزيارة ممنوعة حاليًا إلى أن يستكمل علاجه.
- هل تخبريني هل هو بخير؟!
- لا علم لي آنستي بأي معلومات عنه.. اتركي رقمك وأول ما يسمح طبيبه بالزيارة سأخبرك على الفور.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

في تلك الأثناء كانت هناك من تقبع مكانها تسترق السمع، وتتابع الحوار الدائر بين (مريم) و(موظفة الاستقبال) في خبث بالغ..!!

كانت تلك هي وفاء التي قدَّر لها القدر أن تحتاج شيئًا تأكله من (الكافيتريا)، ولكنها وجدت شيئًا أثمن تلتهمه أو يلتهمها فضولها فأطلقت العنان لأذنيها لتحفظ كل ما دار بين مريم وموظفة الاستقبال.. وما إن انتهت مريم من تدوين رقمها، وعندما همت بالانصراف وجددت وفاء أمامها تقف كأنها وُجِدَت من عدم:

- عفوًا لم أكن منتبهة.

ضحكت وفاء والفضول يأكلها لتعلم من هي:

- سمعتك تسألين عن الدكتور يوسف، أنا الممرضة المسئولة عنه.

تهللت أسارير الفرحة على وجه مريم، وتبدلت ملامحها من الكآبة والوهن إلى طفلة تكاد ترقص من فرحتها بلباس العيد:

- حقًا..!؟

وانهالت عليها بالعديد من الأسئلة:

- هل حالته جيدة؟، هل تحسَّن؟ متى يمكنني زيارته؟ طمئنيني عليه.. هل يأكل جيدًا؟، هل ينام؟

ترفقت بها وفاء وأخذتها بعيدًا عن الاستقبال، وهي تربت على يدها وترسم على وجهها ابتسامتها اللزجة:

- اهدئي قليلًا.. هو بخير لا تقلقي، من الواضح أنكِ تهتمين لأمره كثيرًا.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

هنا أيقنت مريم الفخ الذي وُضِع لها وازدردت لعابها بصعوبة ثم أجابت على استحياء:

- إنه.. إنه صديق العائلة واعتبره... (وبعد برهة صمت) أعتبره أخي.

لم تكن وفاء ساذجة؛ فقد كانت كل قسمات وجه مريم تنفي كل ما قالته وحدثت نفسها (بل أنتِ عاشقة له)، ازدادت ابتسامة وفاء، وهي تتشدق بعلكتها اللعينة التي لا تكف عن هرسها تحت ضروسها محدثة أصواتًا توحي بأن هناك كتيبة تتمرن على الإطلاق بالذخيرة الحية داخل فمها، ثم استكملت ومازالت قذائف القنابل تنفجر من علكتها:

- اطمئني.. هو بخير وعندي المزيد من الأخبار المفرحة من أجلك.

لم يفُتها أن تستغل الموقف، ولا بأس من بضع جنيهات أمام تأدية تلك الخدمة لتلك المسكينة. فمظهرها يوضح أنه لن يضيرها في أن تدفع مقابل معلومات عن حبيب القلب.

تداركت (مريم) نظرات الابتزاز التي في عيني (وفاء) ولم تتردد في أن تغوص يدها في حقيبتها مخرجة ورقة فئة المائة جنيه ثم دستها في يدها في الخفاء، أخذتها وفاء وزاد تشدقها أكثر وزادت الفرقعات، ولكنها كانت فرقعات صواريخ احتفال يكاد فمها ينير بها ويرسم أشكالًا في سقف حلقها معلنة انتصارها على تلك البلهاء، ثم مالت على أذنها وأخبرتها أنه من المحتمل أن يخرج يوسف في الأيام المقبلة.

لم تتدارك (مريم) فرحتها التي كادت تسقطها أرضًا، ومن جديد لهفتها باتت واضحة عليها و(وفاء) مستمتعة بما فعلته بالمسكينة. شكرتها مريم وانصرفت، وضعت (وفاء) يدها في جيوب معطفها الوردي تتحسس ورقة

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

المائة جنيه، وذهبت لتحضر كوبًا من (النسكافيه) وهي منتشية بانتصارها؛ فلم تعد بحاجة إلى الطعام بعد ما حدث.

****

قاطع جلسة يوسف، اتصال هاتفي للدكتور خالد، الذي أجاب على الفور:

- ألو.. أهلا دكتور طاهر.
- .....
- نعم أعلم أني تأخرت عليك بالتقرير، ولكن ما تزال هناك مستجدات.
- .....
- لا تقلق، أنا اعمل عليه، وبات التقرير على وشك الانتهاء.
- .....
- أنا تلميذك لا تقل هذا.
- .....
- تمام.. لن أتأخر عليك اليوم يكون على مكتبك بمشيئة الله.
- .....
- سلام..

اعتذر خالد من يوسف على المقاطعة، ثم أردف قائلًا:

- سأحضر فنجانين قهوة لنستكمل حديثنا، فما رأيك؟
- لا بأس فقد اشتقت لقهوتك.
- حسنًا، ما رأيك فلتكمل ما حدث وأنا أعد القهوة.

وبالفعل عاد الحوار ليتصل وقال يوسف:

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- إنه الماضي يلاحقني.. الماضي الذي طالما هربت منه، الذي اشمئززت عندما علمت به.. ثم عاد بذاكرته ومسامعه إلى الطرقات المدوية التي كادت أن تكسر الباب .

وقفت أمام الباب للحظات متوقعًا شرًّا، وما إن فتحته حتى وجدت والد حاتم يقف أمامي.

ألف فكرة تصارعت داخل عقلي.. ترى ماذا جاء به..!! هل سيوبخني مثلما فعل حاتم؟، هل سيقذفني بأقذع الألفاظ؟، هل أتى ليعتذر مثلًا عما فعله ابنه بي البارحة والذي تظهر علاماته جلية على وجهي!! كلها علامات استفهام قفزت في عقلي في أقل من دقيقة. ولكن كان والد حاتم سريعًا جدًّا ريثما رآني قذف بقنبلة غاز أعمتني وضيقت على أنفاسي وألهبت مدامعي:

- أنت ابن الإنجليزية؟

لم أتفهم طبيعة سؤاله عن أمي ولكنه استكمل:

- أنت ابن تمثال الشمع الذي أتى واختطف أخي من بيننا، أنت ابن أخي الذي أودى بحياة أمي بفعلته النكراء، أنت أبن تلك العاهرة التي سحرت قلب أخي وجعلته صورة لرجل ليس أكثر..

هبطت الصاعقة على رأسي، ولكنه لم يتوقف عن رجمي بالكلمات فقال باحتقار:

- أنا عمك نور الدين الذي أتيت متسللًا إلى بيته من دون أن تفصح عن هويتك لأنك تعلم مدى قرابتنا، جئت لتنتقم وتكسر قلب ابنتي الوحيدة.. أخبرني هل هذا مخططك أم مخطط أمك الحقيرة؟

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

قذف قنبلته غير عابئ بي.. من جديد لا أحد يعبأ بي كأنني فراغ، هنا أفسحت له ليدخل حتى لا ينشر الغسيل القذر أمام الناس.. دخل غير مبالٍ لي وبما أنا فيه. وما إن أغلقت الباب حتى حاولت أن أتمالك أعصابي قائلًا:

- وما ذنبي أنا فيما حدث، لم أكن أعلم أنك عمي، لقد التقيت بحاتم صدفة في المطار، القدر هو من وضعكم في طريقي، طريقي الذي كنت قد انتويت أن أسيره وأبدأ به حياة جديدة، هل هذه مقابلتك لابن أخيك، لقد ظننت لوهلة أنك أتيت لتعتذر عما فعله حاتم بالأمس..
- حاتم لم يفعل شيئًا.. فهو على حق ويا ليتني ألقمت ضياء تلك اللكمة يوم تزوج أمك التي قلبت حياتنا رأسًا على عقب.
- أمي.. !! أمي لم تفعل شيئًا.. ولا أبي.. هل العشق أصبح جريمة يعاقب عليها الإنسان، أم أنك لا تؤمن بالحب.
- أي حب هذا الذي تتحدث عنه.. أنت لست رجلًا كي أناقشك في الحب أنت نسخة من أبيك..

ثم انتفض واقفًا يدور فالمنزل وكأنه يبحث عن شيء قائلًا:

- هل أرسلك أبوك لكي تلعب تلك اللعبة القذرة علينا.. هل خططت أمك الحيزبون لك كي تزلزل أركان أسرتنا، إن كنت قد أتيت لتبحث عن إرثٍ فلا إرث لك عندي.. اذهب وأخبر أباك بهذا ..

وازداد صراخه أكثر:

- أخبر أمك المتذاكية.. أن لا أمل لها في أن تطول قرشًا واحدًا من إرث أمي التي قضت عليها.. اذهب وأخبرهم بذلك هيا..

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

قالها وأمسك بهاتف يوسف الملقى على المنضدة أمامه مناولًا إياه له ملحًا عليه:

- هيًا كون أرقامهم وأعطهم تقريرًا عنا وأخبرهم أن خطتهم لم تفشل تمامًا، وأنك نجحت في أن تجعل ابنتي الرقيقة تحبك ثم فطرت قلبها، وحطمتها.

ركعت على قدمي ضاربًا الأرض بكلتا يدي ..لم أتمالك نفسي، سقطت منهارًا والدموع لا تكف عن جريانها، صوتي كان مختنقًا ولكنني جاهدت نفسي كي أوقف تلك المهزلة:

- كفى.. أرجوك كفى.. أمي ماتت وأبي قد لحق بها.. لم آتي بناءً على خطة، فلتكف عن إلقاء الاتهامات التي لا صحة لها.. أنا لا أريد شيئًا ولم أفكر يومًا بذلك الإرث اللعين، لست بحاجة إليه وإن كنتم عائلتي فأنا أحتاج إلى عائلة ولست أحتاج كل هذا الهراء.

لم يصدق عمي كل ما قلت.. ولكنه تركني مرتميًا على الأرض وخرج، لم تكن علامات وجهه مفهومة بالنسبة لي، أهو كان متفاجئًا أم غاضبًا أم نادمًا.. حقًا لم أكن أعلم أو في حالة تسمح لي بالتركيز فيما هو عليه.

وذهبت أنا في غياهب جب عميق.

شعرت أني يوسف النبي الذي ألقوه إخوته ظلمًا وعدوانًا في أعماق الظلام والبرد وكانت كل جريمته، أن أباه يحبه، إذن الحب جريمة منذ قديم الأزل..

وبرغم كل شيء تمنيت أن يستفيق عمي من قسوته ويعلم أنه ظلمني، تمنيت أن يفكر قليلًا قبل أن يهاجمني، ومن جديد انتابتني نوبة اكتئاب

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــا

لعينة أسقطتني أرضًا بعد صراخ وبكاء وكأنه مقررًا على تلك الدموع وتلك النبرات الحادة التي تنطلق من حنجرتي:

- " أنا لا شيء لا شيء سوى اللاشيء " ولم أشعر بنفسي إلا وأنا هنا.

*****

" عاد نور الدين إلى منزله والانفعال بادٍ على وجهه، التقاه حاتم.. وما إن التقت أعينهما حتى شعر أنه قد حدث شيءٌ.. تمالك (نور الدين) انفعالاته واقترب من حاتم قائلًا له، أن يذهب إلى يوسف معللًا بأنه لا يصح أن يترك صديقه وأن ماحدث كان سوء فهم وليس له ذنب في شيء..فقد كان يريد أن يتحقق من صحة ما قد قيل له للتو منه عن طريق ابنه ولكن لم يحدث مثلما أراد..

ذهب حاتم وهو متململ من طلب أبيه وما إن وصل حتى وجده مستلقيًا على الأرض غائبًا عن الوعي والباب ما زال مفتوحًا مثلما تركه والده، ويوسف غائبٌ عن الوعي؛ فهاتف أباه ليخبره عما وجد فما كان على نور الدين سوى أن أخبره أن يتصل بإسعاف خاص بمصحة نفسية وأملى عليه اسمها ورقم هاتفها.. حينها انتابت حاتم حالة من الحيرة.. وكيف لوالده أن يكون على علم بمصحة نفسية !! "

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ارتشف يوسف القليل من قهوته الباردة كبرودة أيامه، ثم هبَّ واقفًا، وأخذ يدور في الغرفة أمام مكتب دكتور خالد، وكأنما يبحث عن شيء ما. وأخذ يهذي:

- لا أعلم ماذا يريدون مني؟؟ لا أعلم..!!

وأخذ ينظر في الفراغ ويزداد هذيانه ثم وجَّه حديثه إلى الفراغ وقال:

- وأنت ماذا تريد مني!! أليس كل شيء انتهى!! لِم تصر على مطاردتي وملاحقتي لماذا، لماذا تأتيني على هذا الشكل وتلك الوضعية، لماذا تريد دومًا أن تذكّرني أني غير مهم بالنسبة لك، لماذا تذكرني بتخليك عني، تذكرني بضعفك.

انتفض خالد وهو يرى يوسف يتحدث مع الفراغ فكان لأول مرة يراه وهو تهاجمه هلاوسه، ضغط على الزر المجاور لمكتبه.. ثم اقترب من يوسف محاولًا تهدئته ولكن بلا جدوى كأنه أصبح غير مرئي بالنسبة ليوسف، فقد بات عنيفًا وصار يضرب الحائط بيده ويلوح كمن يمسك بشيء متدلٍّ من السقف.. حضر الممرضين وكبلوه وأخذوا يجرونه في ممر المستشفى وهو يصرخ.

أمرهم خالد بأن يمنحوه من جرعة الـ (فنتيل) قرصًا إضافيًّا مع باقي جرعته التي كانت ثلاثة أقراص يوميًا، وأكَّد عليهم أن مهما حدث لا يزيدوا له الجرعة؛ فقد تؤدي لتدمير جهازه العصبي !!

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

الخيبات تتدلى من السماء لتخبرنا أننا كل شيء بالنسبة لها

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

جلس خالد يكتب التقرير الذي طلبه منه الدكتور طاهر.. وهو يفكر في تطوُّر الحالة، بل وراجع مع وفاء كل معلوماتها وملاحظتها عن يوسف، فحكت له الموقف الذي عاصرته بنفسها:

*****

- " أتيت لأخبرك أن الدكتور خالد ينتظرك في غرفته، فهيَّا بنا.

لم ينظر لها هذه المرة بل مسح بيده على الباب، وما إن سبقته وفاء للخارج حتى نطقها همسًا:

- لن أتأخر فلا تذهبي!

سمعته وفاء وهو يهمس، ولكن لم تفهم ما قد قاله للتو:

- هل كنت تقول شيئًا؟!
- لا لم أكن أقول شيئًا سيدتي!
- سيدتي!!
- نعم.. "

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ما إن انتهت من سرد الموقف حتى نهرها دكتور، فأجابته معللة الموقف بأنها اعتقدت أنه يتمتم ببعض الكلمات الخاصة به!! وظلت واقفة متجمدة في مكانها مما لفت نظر خالد قائلًا بتهكم:

- هل هناك شيء آخر نسيتِ أن تخبريني به؟

تنحنحت قليلًا ثم أردفت قائلة:

- لا فقط كنت أريد أن أذكرك بطلبي في أن أكون كبيرة الممرضات؛ فقد عاد الدكتور طاهر من فترة ولم يجد جديد.

نظر لها في غيظ ثم أسرع قائلًا:

- حسنًا يا وفاء، اتركيني الآن وسوف أخبره ريثما أنتهي من تحضير التقرير.

تركته وكأنها ندمت على تذكيره في هذا الموقف، ولكن ما حدث قد حدث، وقريبًا ستنال ما ترجو، ولم تكن تدري أن القدر سيفاجئها بما هو ألعن !!

******

وما إن فرغ خالد من كتابة التقرير حتى ذهب به للدكتور طاهر يعرضه عليه ويناقشه فيه، طرق باب مكتبه وعندما لم تأتِ أي إجابة، دخل ووضع التقرير على مكتبه بداخل ملف أزرق مكتوب عليه بخط عريض ذي لون أسود (المريض 703) يوسف ضياء الدين، ثم تردد صدى صوت وفاء في مخيلته وتذكر طلبها فأمسك هاتفه وكوَّن رقم الدكتور طاهر وضغط على زر الاتصال:

- دكتور طاهر مررت عليك في مكتبك ولم أجدك تركت الملف 703 عليه.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنــــا

- حسنًا خالد شكرًا لك فور عودتي سأطلع عليه.
- حسنًا.. دكتور طاهر تعلم أن هالة سوف تترك العمل.
- نعم عندي علم.. هل اهتديت لمن ستكون مكانها، أنت تعلم أنها يجب أن تكون أمينة، فصلاحياتها ستكون كبيرة، ومسئوليتها ستكون أكبر.
- بالفعل عثرت على من تناسب هذه الوظيفة إنها وفاء المسئولة عن الحالة التي قدمت إليك تقريرها الآن .
- أشكرك على اهتمامك بهذه النقطة، أبلغ هالة أن ترسل لي ملفها لأطلع عليه.

عاد خالد ليطمأن على مرضاه بعد أن انتهى من عبء التقرير وتخلص من إلحاح وفاء بإلقاء الكره في ملعب طاهر؛ فقد حان موعد عيادة المرضى.. ومن ضمنهم كان يوسف.. لم يكن يعني له من قبل رقم الغرفة 703؛ فلم يكن أول مريض يرتادها ولم يكن يعلم ما سر ارتباطه به، بل كان على يقين أن ما يشعر به تجاه يوسف من تعاطُف هو أكبر خطأ للطبيب النفسي.. فهو بهذا يخرج عن القواعد المنصوص عليها.. فلا يجب أن يرتبط الطبيب النفسي بمريضه بأي شكل من الأشكال.. اختلط عنده إحساسه بالشفقة عليه والخوف من أن يصيبه مكروه، لا يعلم ما سر كل تلك الاختلاجات التي تختلج بها نفسه، ولكنه كان قد حسم أمره من أجل يوسف وقد اتخذ قرارًا قد عزم على أن يخبر به الدكتور طاهر فور مناقشة الحالة معه!

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وقف خالد قليلًا أمام غرفة يوسف يتأمل مقبض الباب قليلًا، ثم زفر زفرة اختناق يملؤها الغضب، ثم استجمع قواه وضغط على مقبض الباب بهدوء ودخل على يوسف، لم يعد يراه مريضه؛ فقد رقَّ قلبه لمنظره وهو نائم على تلك الوضعية الجنينية اللامتناهية في الضعف.. ليس هناك أصعب من أن ترى رجلًا يتكور ليصبح في لحظة جنينًا يحتاج للأمان، وكأنه في رحم أمه الذي كان يحتجزه عن كل ما يدور حوله في تلك الحياة البائسة، ماذا فعل ليعيش هكذا لا يشعر بالحياة ولا تشعر به الحياة بل غير عابئة به تمامًا.. هذا الكائن الذي طالما ركل بطن أمه ليخرج للحياة متشوقًا لها فإذا به يخرج لحياة يملؤها الخلل..!!

اقترب منه ووضع يده على كتفه فإذا بيوسف جلس القرفصاء منتفضًا، وما إن رأى خالد أمامه حتى هدأ اضطرابه.. ابتعد خالد قليلًا وسحب كرسيًا وجلس قبالته .. ظن أنه لو ابتعد بكرسيه عنه ربما يستطيع أن ينسج تلك المسافة الأولى بينه وبين مريضه، ولكن هيهات وأيقن أن ما يفعله لا ولن يجدي ويدعم القرار الذي اتخذه !!

- كيف حالك يا بطل؟
- بخير.
- هلا أخبرتني ماذا كنت ترى ومن الذي يلاحقك؟؟

تنهد يوسف بعمق تنهيدة نكأت جراحه التي لا تلتئم أبدًا:

- إنه أبي أراه دومًا متدليًا من السقف وهو معلقٌ بالحبل الذي أودى بحياته. يطاردني، يريدني بجواره، نسي أنه من تخلى عني والآن يريدني !!
- هل ما تراه يقتصر على أبيك فقط؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لا بل من أجمل ما أرى، إني أرى أمي، أسمعها تناديني وتتحدث معي، هل تعلم أنها من تخفف عني وحدتي؛ فأنا أحكي لها الكثير مما بداخلي.. لقد أخبرتني آخر مرة أنها غاضبة من أبي لأنه تركني، وأفضيت لها أني أنا أيضًا غاضب.. وأني كنت أحتاجه، وأخبرتها أنه يريدني بجواره فغضبت كثيرًا ولكنها أخبرتني أنها لا تحدثه وأنها لا تريدني أن أذهب إليه.. بل أن أذهب إليها !!

- وهل مازلت تراهم..؟

- للأسف لا.. لم أعد أرى أمي، ولكني سعيد لعدم رؤية أبي مشنوقًا أمامي طوال الوقت..

- حسنًا أنا سعيد لرؤيتك سعيدًا.. هذا معناه أن إقامتك معنا ستنتهي قريبًا.

- حقًا؟!

- نعم ألا تريد الخروج؟

- لا أعلم.. ولكن لا يوجد ما أشتاق إليه سوى لمنزلي.

قام خالد من مكانه وربت على كتف يوسف محدثًا إياه بحنوٍ بالغ:

- خروجك أصبح وشيكًا، لقد قطعت في العلاج مرحلة كبيرة برغم الانتكاسة الأولى.

ابتسم له يوسف ثم أمسك يد خالد وهي ما تزال على كتفه قائلًا له:

- أشكرك يا.. دكتور خالد.

وللمرة الثانية يتأكد خالد مما شعر به.. لقد ارتبط يوسف به نفسيًا أيضًا، ولم يكن هذا جيدًا أبدًا.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ذهب لغرفته ورأسه يعج بالأفكار التي لا يستطيع أن يقف أمامها ولا يجد تفسيرًا لها، وماذا سيكون رد فعل الدكتور طاهر مما هو فيه الآن، هل سيخبره بما وصل إليه؟!. لقد كان قراره أمرًا حتميًا لا يمكنه الرجوع فيه. ضرب بقبضة يده على مكتبه الخشبي حتى ارتعدت قوائمه.. ثم همسَ بها في خفوت.. لا مفر هذا القرار الأفضل.. ليوسف !

ثم افترش ذراعيه وسادة لرأسه وأسند جبينه عليهما، وما إن أغمض عينيه حتى أتاه رنين الهاتف كسرينة إنذار مزعجة التقطه لا لكي يرد ولا ليرى من المتصل بل ليخرسه قليلًا (تبًا لتلك الهواتف)، ولكن ما إن أمسك به حتى وجد اسم الدكتور طاهر ينير ويطفئ.. حدَّث نفسه قائلًا: (هذا أنت؟! كنت أنتظرك)

- ألو..
- .....
- أها، توصلت لقرار؟
- .....
- بالطبع سآتي إليك على الفور.
- .....
- سلام.

قام واقفًا في تثاقل وهو يحاول أن يعيد قسمات وجهه للوضع الطبيعي، وقف أمام مرآة الحمام ليدرب وجهه على الابتسامة الطبيعية، وما إن عاد وجهه لشكله العادي، غسل وجهه.. ثم خرج وتوجه مباشرة لغرفة الدكتور طاهر.

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

جلس يوسف في غرفته متأملًا الأوراق التي طلبها من وفاء ممسكًا بالقلم بين أصابعه يحاول أن يكتب شيئًا مما بداخله، فينظر للسطور يجدها تتعرج أمام عينيه.. يفرك عينيه.. يهمس بحنق (تبًا لتلك الأدوية) لم يستطع الكتابة على تلك السطور الفاقدة لاتزانها.. فترك العنان لقلمه المأسور بين أصابعه يتحرك بلا قيود، يترنح يمينًا ويسارًا، يرسم عينين بائستين وقلبًا ينزف.

برقت عيناه عندما انتهى من الخطوط التي شعر أنه لا يد له فيما رسم.. نعم إنه هو بمعنى الكلمة... ذئب ولكنه كان ذئب بائس يعاني من القهر لم تكن عيناه يملؤها الغدر.. كان ذئب يوسف الذي اتهمه إخوته بسفك دمه.. لا يعلم لمَ رسمه قلمه..

جلس يتأمله قليلًا شعر به يئن ويندب، شعر بعوائه يخرج من بين طيات أوراقه.. أحس بدفء دموعه تتدحرج على السطور محدثة مجرى مائيًا تنهمر من خلاله، شعر بالورقة تهترئ بغير اهتراء، لم يكن يعلم أن الذئب من الممكن أن يبكي بدموع صادقة، ولم يكن يعلم أنه من الممكن أن يحتضنه فقد يكون الذئب أحن كثيرًا من بعض البشر حتى وإن كان على ورقة غير واضحة المعالم، احتضن وريقته التي ظن أنها ذابت، وعندما قربها منه وجد دموعًا تسقط عليها، ولكنها لم تكن دموع ذئب بائس، بل دموع حمل لا يقوى على النهوض دموع يوسف في جبه العميق.

****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

طرق خالد باب الدكتور طاهر طرقات خفيفة متمنيًا ألا يتم اللقاء، فمازالت الأفكار تضاجع رأسه آلاف المرات بلا كلل ولا هوادة، حتى إنه تنبّه على صوت خافت يأذن له بالدخول، هل حقًا كان صوت الدكتور طاهر خافتًا أم أن ذلك الضجيج قد احتل مكانًا أكثر من اللازم في رأسه وغطى على مسامعه، أخذ نفسًا عميقًا وحدَّث نفسه (أن لا سبيل لي من صراعاتي سوى المصارحة !).

استقبله دكتور طاهر بترحاب وجلسا، رغم تمرينات خالد على اعتدال قسمات وجهه إلا أنه رغم كل دراسته في علم لغة الجسد لم يعِ أن قسماته تتبدل لا إراديًا مع ما يفكر فيه، قرأها طاهر على الفور فلم يكن مبتدئًا، ولكنه آثر أن يؤجل هذا السؤال..

- ها.. أخبرني كيف الحالة معك ؟
- إلى الآن مستقرة، هذا بفضل الليثيوم، المريض يقاومه قليلًا، ولكن مع الرقابة فهو يتناوله بانتظام مما عمل على ثبات الحالة المزاجية، كما إنه يتناول depakine chrono 500 قرص مساءً.
- هذا جيد، وماذا عن الهلاوس التي تراوده.
- مستقرة إلى حد ما، كمان أنني اكتشفت أن المرض أصابه بفعل الجينات، فقد أصيب والده بحالة اكتئاب حاد يصحبه هلاوس سمعية وبصرية.

أمعن طاهر النظر لخالد ركز عينيه على عينيه الزائغتين ونبرة صوته غير المستقره ثم باغته قائلا:

- ما بك يا خالد، أراك على غير عادتك قلقًا، هل هناك شيءٌ تود إخباري به؟

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــــا

- الحقيقة لا أعلم ماذا أقول.

ضحك طاهر ثم استطرد قائلًا:

- عندما يبدأ الحديث بالحقيقة نعلم أنه يكون كذبًا.. بل أنت تعلم جيدًا ماذا تريد أن تقول، فادخل في الموضوع بدون مراوغة.

تنحنح خالد وفرك لحيته بغير إرادة منه ثم قال:

- تعلم يا دكتور طاهر مصداقيتي في عملي، ولكنني لا أعلم كيف وقعت في هذا الخطأ.
- أي خطأ الذي تتحدث عنه يا خالد؟؟
- لا أعلم كيف تعلقت بالمريض (703) أشعر تجاهه بتعاطف شديد، أشعر أني لم أعد حياديًا معه، وهذا ضد صميم عملي، أعترف أني تعلقت به عاطفيًا لا أعلم لماذا.. ولكن هذا ما حدث فأرجوك أعفِني من تلك الحالة فلم أعد قادرًا على استكمال رحلة العلاج معها.
- حقًا..! وما هي خطتك المقبلة.
- سأترك الحالة بين يديك، فأنت أستاذي ولا يوجد من هو أقدر منك للتعامل مع تلك الحالات المعقدة.
- أقدّر حالتك كثيرًا.. لا عليك، أحيانًا يحدث معنا أن نتعاطف مع المريض أو أنه قد يمس شيئًا بداخلنا.. نعم مطلوب منا أن ننفصل بمشاعرنا عن مرضانا، ولكن ما يحدث في غفلة منا لا يجب أن نؤنب أنفسنا عليه بتلك الدرجة التي أراها في عينيك.
- دكتور طاهر أنا...
- أنا لا ألوم عليك يا بني.. لا شك عندي في نزاهتك على الإطلاق، ما أريد قوله هو أن تخفف عن نفسك وطأة بعدك عن يوسف، أنت تعلم أن

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

هذا لمصلحته ولمصلحتك.. فلن تستطيع أن تعطيه استشارة لا يشوبها تعاطف معه ولن تستطيع أن تضغط عليه في شيء، أنا مقدِّر ما أنت فيه فلا تثقل كاهلك باعتقادك أنك مقصِّر، مشاعرنا ليست ملك لنا ولا نستطيع أن نسيطر عليها ونحن في الأول والآخر بشر.. فليس هناك تعارض بين مهنتنا وبين إنسانيتنا فلسنا سوى بشر.

لم يفاجأ طاهر كثيرًا من تصرُّف خالد، الذي وضع أمام طاهر العديد من علامات التعجب والاستفهام جعلته يهتم بملف تلك الحالة ويطلب عنها تقريرًا مفصلًا، وجاء كلامه لخالد كماء بارد في يوم حار، فخرج من عنده تاركًا المسير لقدميه تأخذه حيثما تشاء. بعدما ارتاح من هموم كان يعتقد أنها آخر الهموم التي ستنزل على عاتقه بعدما ترك حالة يوسف، ولكن لعنة يوسف لم تكن لتتركه!

تذكر أن الدكتور طاهر أخبره بموافقته على توظيف وفاء ككبيرة للممرضات، فتساءل في نفسه لم يساعدها هي الأخرى، أم للأمر علاقة بسلوكها الجيد مع يوسف !!!

وبكل حنق زفر:

- يبدو أن لعنتك يا يوسف لن تنتهي.

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــا

ندير ظهرنا للقدر في أمان.. فيفاجئنا بضربة قاسية من الخلف

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(17)

أحيانًا كثيرة تعاملنا الحياة كعرائس (ماريونيت) تحرك خيوطنا بغير إرادتنا تعلقنا بخيوط الطمع والكره والحقد، والكثير منا يطوع تلك الخيوط لمصلحته الخاصة، وقليل أيضًا من يقطع تلك الخيوط بشيء نادر اسمه الإرادة ويتمسكون بقيمهم القديمة أو بالأحرى يوقظونها من مواتها، هؤلاء هم من لا يقبلون بأن تتحكم بهم أشياء لا معنى لها، أشياء إن تركناها تتحكم بنا ستتقطع كل أواصرنا للأبد بلا رجعة.

لقد اعتاد يوسف أن تقف الحياة أمامه بكل قسوتها ولا تريه إلا وجهها العابس القميء، ولكن ما لم يكن يتوقعه هو أن تكشر له عن أنيابها المشوّهة وتجحظ بعينيها في عينيه وترميه بصفعات برق فتفقده البصر وتشعل النيران بداخل بتلات الشجيرات الصغيرة التي بالكاد زرعها داخل قلبه البائس!

*****

يدق هاتف الدكتور طاهر وهو في مكتبه فيجده صديق عمره الذي تعرَّف عليه في رحلة استجمام في إحدى الدول، وعلى غير العادة عند التقاء اثنين من نفس الجنسية في مكان أن يصبحا أصدقاء، فالقاعدة تقول إنه لا تجد من أبناء جنسيتك إلا المحاربة.. من الممكن أن هذا لم يحدث لأنها كانت مجرد رحلة استجمام وترفيه، ولكن لو كان التعارف قد تم في رحلة عمل..

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنـــا

أعتقد أنه من الممكن أن يردون بعضهما قتلى من أجل شيء بارد اسمه المصلحة، ولكن أيضًا المصلحة تجعلنا نلتقي ليس فقط بأبناء جنسيتنا بل بمن هم أغلى من ذلك !!

التقط طاهر هاتفه ضاغطًا على زر الإجابة في مرح:

- أهلًا أهلًا..غبت عني كثيرًا
- .....
- كان الله في العون.. حمدًا لله على سلامتك، أنا أيضًا كنت في سفر.
- .....
- حقًا.. ومن يكون؟
- .....
- يوسف !!
- .....
- لِم لم تخبرني يا نور الدين أن ابن أخيك نزيل عندي في المستشفى؟
- .....
- ملفه أمامي الآن، حسنًا أنا بانتظارك!

أغلق طاهر المكالمة وعلامات الحيرة مرسومة على وجهه وبدأ يقلب في الملف ويتمتم: "يوسف ضياء الدين راضي" تبًا لغبائي، لم يأتِ ببالي قط أنه أبن أخيه، وعاد من جديد: "ومن أين لي أن أعلم وهل معي دفاتر السجل المدني. يا ترى ماذا تحمل في جعبتك يا نور الدين، ولِم بعد كل تلك الفترة لم تسأل عليه طالما هو ابن أخيك؟!، بدأ النمل يغزو رأسه ويدغدغها بأسنانه البسيطة، ولكنها قاتله؛ فما كان عليه سوى أن يلتقم بضع حبات مهدئة ومسكنًا لجحافل النمل الزاحفة في عقله.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وصل نور الدين لمكتب طاهر وكل تعابير وجه متصلبة كأنه مقبل على حرب شعواء.. طرق الباب عدة طرقات يملؤها التوتر ثم دخل من دون أن يأذن له بالدخول وكأن توتره أفقده أصول الأدب واللياقة، استقبله طاهر بترحاب وهيأ نفسه لسماع قصة ستقصها عليه عروق نور الدين النافرة.

لم يقص نور الدين القصة على عكس ما توقع طاهر، بل كانت كلماته مقتضبة وحاسمة، بعدما سأل على حالة يوسف بالتفصيل، لم يتردد طاهر في أن يبلغه بكافة تفاصيل حالة يوسف المرضية بغير توجس منه ! وقد كان مخطئًا.. وجاءه الرد من نور الدين عليه بثلاث كلمات، تلك الكلمات لم تكن مفهومة بالنسبة لطاهر أو بالأحرى لم تكن متوقعة:

- أريد ملف يوسف.
- ملف يوسف..لماذا تريده يا نور؟؟
- أرجوك يا طاهر هذا الأمر خاص بي وبعائلتي، تعلم وضعي فليس من اللائق بالنسبة لي أن يكون هناك شخص من العائلة مريض بمرض نفسي !
- أنا لا أصدق ما تقول !! هل أسمع هذا الكلام من مهندس مرموق وعلى درجة عالية من العلم؟!
- اتركنا من تلك الديباجات عديمة الفائدة، إنه مجنون هل تريدني أن أتقبل هذا؟
- أريدك أن تتفهم حالة ابن أخيك.. لا أن تهاجمه بشكل غير مبرَّر.
- ابن أخي !! ليتني لم ألتقِ به.
- ما الأمر يا (نور).. لا تجعل الشك يتسرب إليَّ، يوسف مريض بمرض مثل أي مرض، لمَ كل تلك القسوة التي أراها في عينيك وفي تصرفاتك

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

وتظهر جلية على قسماتك الطيبة، لم أتعرف عليك اليوم.. أجدك شخصًا آخر.

نكس (نور الدين) رأسه في خجل مما هو فيه، ولكن لم يتملكه كثيرًا؛ فلم يكن مضطرًا بأن يحكي تاريخ عائلته لصديق، كان التحفظ يملؤه ولم يكن يعلم أن الملف الذي يطلبه به الكثير والكثير عن عائلته والذي لا يعلمه هو شخصيًا، نهض وكان قد حسم الأمر قائلًا:

- هل ستعطيني الملف أم لا يا طاهر؟
- لا أستطيع أن أعطيه لك قبل أن أعلم ما هي حاجتك به. أو أن يأذن يوسف بان أعطيه لك، فهذه مسئولية عليَّ.
- هكذا إذن.. حسنًا لم أكن أتوقع أن ترفض لي طلبًا خاصًا بهذا الشكل.
- افهمني يا (نور) أنا..

لم يتركه (نور) أن يكمل كلامه بل خرج والغضب يملؤه، يدب الأرض بقدميه لعل دقاته لها تنقله من أمام طاهر بأسرع ما يمكن، ولكنها لم تستجِب فترك المهمة لساقيه لتبعداه بعيدًا عن مكتبه، ولكن سرعته هذه أوقعته فيمن سيخرجه من تلك الحالة بمنتهى اليسر، ولن يكلفه الأمر التضحية بصديق العمر، بل سيكون سهلًا عليه أن يضحي بابن أخيه بمنتهى السلاسة التي تملها عليه حقارته ! اعتقد أن الحياة تكافئه على (وفائه) لأمه تلك المكافأة.. فكان كما اعتقد أن الجزاء من جنس العمل !

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

دمار البعض يكون بارقة أمل للبعض الآخر

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(18)

تجلس وفاء في منزلها واضعة قدمًا على الأخرى وغير مبالية بأي شيء، تفتح فمها على مصراعيه فتظن عندما تراها أنها تصور مشهدًا من إعلان معجون أسنان، ولكنها كانت في الحقيقة تضحك ضحكة استفزازية لكل من يراها وأولهم زوجها المتنطع الذي يشاركها المنزل! فلم يرَها على تلك الشاكلة منذ زمن بعيد.. لم يهتم يومًا بالسبب الذي أنساها ابتسامتها ولا حتى السبب الذي انتهك آدميتها؛ فقد كان في عالم غير العالم.. فقد تزوج من أجل استمرار الحياة وليكمل نصف دينه كأنه كان قد أكمل النصف الأول من الأساس.. أو لربما ليشعر باكتمال رجولته الرخوة، كلها افتراضات ولكن ما هو الواقع؟!

كان منظرها المستفز يثير دهشته.. ناهيك عن ابتسامتها اللزجة وتلك الاصباغ الرخيصة التي تلطخ وجهها وذلك الفستان الذي أبرز بعضًا من أنوثتها الضائعة.. مع ذلك العطر الذي طغى على رائحتها المشبعة بالديتول الذي ينظف به الأرضيات.

أثارت هيئتها رجولته النائمة؛ فحاول أن يقترب منها وهي تشاهد التليفزيون غير عابئة بلعابه الذي يتساقط من فمه عليها، ولكنه ربثما امتدت يده إلى كتفها.. حتى قامت منتفضة من أمامه وتحولت مائة وثمانين درجة من امرأة

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

مثيرة إلى الساحرة الشريرة ثم رفعت يدها مشيرة له بإصبعها السبابة والشرر يتطاير من عينيها:

- إياك مرة أخرى أن تقترب مني هل فهمت؟

لم يعبأ كثيرًا بتهديدها المبالغ فيه وفي قرارة نفسه يقول (ماذا عساكِ ستفعلين !).

وظلّ يقترب منها أكثر فأكثر وهي تعود للوراء رويدًا رويدًا حتى توقفت وصرخت بأعلى صوتها:

- هل تعتقد أنك رجل إذن؟! إنك حتى لم تسألني من أين لكِ هذا؟

أجابها والبلاهة تنتشر على وجهه كفيروس قميء لا علاج له:

- وهل أنا مصلحة الأموال العامة لأسأل مثل هذا السؤال !!
- لا بل أنت لست برجل، وقريبًا سأتخلص منك وسألقيك في أقرب صندوق قمامة.

ظلّ يقترب منها إلى أن احتجزها على الحائط الذي كان وراءها واقترب منها بأنفاسه الكريهة ولعابه الذي يسيل من فمه ثم اقترب من شفتها وقال لها:

- نحن في صندوق واحد، وعلى القمامة أن تمتزج بالأوساخ فما رأيك؟

لم تتحمل قذارته ولا مبالاته ودفعته بكامل قوتها وهربت من أمامه ودخلت غرفتها وأغلقت بابها عليها وهي تصرخ وبدأ صوتها ينشج.

- لم أعد أطيق أن أعيش مع حيوان مثلك، سأنأى بنفسي وأبنائي منك ومن حظيرتك تلك.. سأتركك تتعفن وحدك بدلًا من أتعفن معك ويضيع عمري هباءً .

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

تكورت على نفسها في فراشها وأخذت تبكي وتمسح أحمر شفاهها بدموعها التي امتزجت بكحل عينيها على وسادتها المسكينة لتكون صورة مسخ وكأنه انعكاس لروحها التي تركتها تتشوه بفعل الظروف القاسية !

*****

يكوّن نور الدين رقمًا على هاتفه ثم ينتظر أن يجيبه الطرف الآخر. لم يكن يطيق صبرًا على أن يجيبه فأخذ يحرك قدمه في حركة عصبية ويأكل شفتيه وفور أن أجابه الطرف الآخر وجدها رسالة مسجلة:

(هذا الرقم غير متاح الآن من فضلك أعد المحاولة في وقت آخر).

زفر في غضب:

- تبًا لكِ أيتها المتخلفة سئمت صوتك البارد الذي أسمعه في أوقات احتياجي للمكالمات "

ولكنه فور انتهائه من وصلة السب لصاحبة الرسالة المسجلة حتى جاءه اتصال من الرقم الذي كان ينتظره.. رد وهو في منتهى اللهفة.

- هاا.. ماذا تم في اتفاقنا؟
- .....
- لا هذا كثير..
- .....
- حسنًا.. متى؟
- .....
- لا أستطيع أن أنتظر كل هذا وأنا على أعصابي.
- .....

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- المهم أن تنتهي على خير.
- .....
- سلام

دخلت علياء على زوجها العزيز وهي ترى أن وجهه عبارة عن عدة ألوان مختلطة فأخذها القلق عليه.

- هل أنت بخير ؟؟
- نعم.
- هيئتك لا تدل على ذلك.
- ماذا تريدني أن أكون وأنا من أول يوم وصلت فيه والمشكلات تنهال على رأسي.
- ومالنا ومال المشكلات، انتهينا منها.
- حقًا؟! وحالة ابنتك التي أصبحت فيها والذبول الذي اعتراها أنتِ غافلة عنها يا هانم، العاشقة الصغيرة تذهب ليوسف في المستشفى.. مازالت متعلقة به، هل تعلمين ما معنى هذا أم أخبركِ.
- تذهب له !! وكيف علمت؟
- ولأنكِ غافلة لا يعنيكِ شيئًا في الحياة.. أخبرني السائق فهل تعتقدين أن ابنتك في تلك الحالة قادرة على أن تقود سيارتها؟
- لا تقسُ علي بهذا الشكل أنا اعتقدت أن السائق لحمايتها.
- هذا فقط من سذاجة تفكيرك..
- ستعود حتمًا يومًا ما إلى رشدها، وسينتهي كل شيء وتعود حياتنا كما كانت، ثم لم كل هذا العداء تجاهه بالنهاية هو ابن أخيك ! والأمر بسيط .

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- لا أريد نقاشًا في هذا، أنا كل ما يهمني هو حالة ابنتي؛ فلم أعد أطيق رؤيتها وعيناها غائرتان والاصفرار يكتسح وجهها بهذا الشكل.
- حسنًا فلتهدأ حتى نحل المشكلة، أنا تحدثت معها كثيرًا ولكن بلا فائدة، وكونه ابن أخيك فالمشكلة سهل حلها ومن السهل أن يتزوجها.
- لا ليست بالسهولة التي تتخيلينها.. بل أصعب مما تتخيلين.
- ماذا ستفعل إذن؟!
- لا تتعجلي الأمور ولا تتعجليني أيضًا.

انصرفت من أمامه وهي تتمتم ثم التفت إليه وعلامات الامتعاض على وجهها تبدو جلية للعِيان.. هل من الصعب أن تخبرني وتريحني تجاه كل ما نحن فيه فجأة أصبحت غامضًا ولم أعد أفهم شيئًا.

نظر لها بطرف عينه ولم يعِرها أي اهتمام.. واهتم بما كان يفعل.

******

كان هذا موعد خروج يوسف من زنزانته العلاجية، فأخذ يلملم حاجياته غير عابئ بكيفية وضعها ولا ترتيبها.. وهو ينظر للجدران وكأنه سيفتقد عزيزًا اعتاد على وجوده، ورغم طلائها الباهت ونافذتها المسيجة، إلا أنه سيفتقد هلاوسه فيها ثم تنهد تنهيدة حارقة وتمتم:

- "حتمًا سيأتي يومٌ وسنلتقي لن تتركيني في أي مكان ".

أخرجه دوران المفتاح في مزلاج الباب، تعلقت عيناه بالباب ليعلم من القادم فإذا به دكتور خالد ومن ورائه وفاء، كانت نظرات خالد له يملؤها السعادة؛ فبرغم تخليه عن متابعة علاجه وتركه دكتور طاهر ينهي مهمته إلا أنه لم يتخلَّ عن مشاعره تجاه يوسف! وجاء ليودعه بعد تلك الفترة العصيبة التي عبرها معه دكتور طاهر إلى بَرّ الأمان، وأخذه بين أحضانه للحظات، والابتسامة الحنون على شفتيه ثم أمسك كتاب (سجن العقل)

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

الذي كان قد استعاره يوسف منه، نظر له مليًا ثم أمسك يد يوسف وجعله يستكين بين راحتيه وقال:

- هذا الكتاب هديتي لك على خروجك من هنا.. وأتمنى أن تلتزم بعلاجاتك وتهزم ذلك الوحش الذي يسيطر عليك، اجعله دومًا صغيرًا، لا تسمح له أن يكبر ويتوحش بداخلك ويسيطر عليك.
- شكرًا لك يا دكتور خالد، ولكن أخبرتك عندي منه نسخة في منزلي.. ولكن سآخذه كتذكار منك ولن أنسى لك كل ما فعلته من أجلي.
- خالد.. قل لي خالد لست بطبيبك الآن.. فلنكن أصدقاء هل ممكن؟!

انهمرت عبرة ساخنة من عين يوسف وأحجمت الأخرى عن البكاء، ثم احتضن خالد مرة أخرى ليعبِّر له عن شكره له.

كان تصرف خالد ومشاعره واضحة ليوسف فقد ارتبطت مشاعرهما ببعضهما، ولكن غير المفهوم بالنسبة له كانت نظرات وفاء له؛ فقد كانت تقف بزهو على غير العادة واضعة يديها في جيوبها وتتشدق بعلكتها اللعينة مع نظرة باردة خبيثة.

تجاهلها فربما هو رد فعلها المعتاد، فدوريًا يغادر المشفي شخص أتم علاجه، وهو شيء لا يستدعيها للاحتفال أو الاهتمام، إلا بكونه عبئًا إضافيًا قد انتهى من فوق كاهلها.

غادر يوسف المكان إلى المجهول.. لا يعلم كيف سيكمل حياته مع وحدته التي تكاد تقتله، ماذا سيفعل مع عمه.. وحاتم الذي اعتاد على صحبته وكان صديقه الوحيد، ولكنها الحياة حتمًا ستكتمل حتى ولو كانت الوحدة تزلزل أركاننا. ولكن ليتها كانت الوحدة فقط هي من تزلزل الأركان..!!

***

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا
fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

مازلت أصارع الحياة لتحقيق أحلامي مادمت حيًا

لا خيار لدي.. إما أن أقضي عليكِ أو أن تقضي عليَّ..

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(19)

كان كل شيء غريبًا على يوسف..

ضوء الشمس ورائحة الجو والزحام، كان ينظر لمن حوله كأنه قد نسي تلك الوجوه البائسة المحمَّلة بأتربة الجو وهموم الحياة التي لا تنتهي.. ورغم الشقاء الذي يراه على الوجوه فقد كان يرى علامات الرضا عليها..

أهو رضا أم استسلام !!

لا أحد يعلم ذلك السر، ظلَّ يمشي ولكنه في قرارة نفسه كان ثابتًا تتحرك قدماه، ولكن هناك الكثير من الأشياء التي توقفت بداخله، فاجأته العاصفة الخماسينية، ضحك بداخله وقال في نفسه: إنه لشيء مبشر، إنه يوم خروجي تستقبلني الأجواء بتلك العاصفة ترى هل تكون علامة على شيء ما !!

دلف عبر شقته، ظلَّ ينظر إلى الحوائط والأركان وهو متسمر عند الباب، ترك حقيبته تسقط على الأرض من يده بفعل الجاذبية.. كانت شقته مقلوبة رأسًا على عقب كأنها قد نالت نصيبًا من الزلزال الذي قد أصاب روحه، وللوهلة الأولى اعتقد أن لصًا قد سطا على شقته من كثرة الأشياء المبعثرة فيها.. لم يكن هناك شيء على حاله.. هرع للداخل يفتش عن حاجياته الخاصة ودفتر ذكريات والده، ولكنه لم يجده.. لم تكن مقتنياته وأشياؤه الثمينة قد انتقص منها شيء.. إذن لم يكن لصًا الذي دلف إلى

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

المنزل.. إنه هو ولم يكن هناك أحد غيره ليهتم بمجرد دفتر به كلمات لا تعني لأحد سواه.

نور الدين!!.

*****

في منزل نور الدين وفي غرفة مكتبه تحديدًا يجلس على كرسيه الذي له فترة من الزمن لم يبرحه.. منهمكًا في تصفح دفتر يبدو عليه القدم، وعلامات الامتعاض ترتسم على وجهه وكل حين وآخر يزفر زفرة حنق..

كان قد وصل للصفحات الأخيرة.. وجدها مكتوبة بخط مختلف مخطوط فيها بضع كلمات:

" هكذا انتهت القصة بمرض روزالين.. وانتحار أبي من أجلها.. فلم يستطِع أن يعيش بدونها "

يوسف ضياء الدين

أغلق دفتر المذكرات بعنفٍ حتى كادت وريقاته تتمزق من داخله، ثم زفر زفرة غاضبة وأخذ يجز على أسنانه قائلًا:

- أيها الغبي.. كان يجب أن تنتهي حياتك على تلك الشاكلة، فكيف لأحمق مثلك أن يعيش حياة طبيعية ويموت ميتة طبيعية وأمه قد عانت الويلات من أجله.. ولكن حتمًا سأنال منك فليس كافيًا بالنسبة لي موتك.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

نظر في ساعته وجدها السادسة.. فأطلق سبة حانقة، فقد كاد أن يتأخر على موعد خاص جدًّا، سيجعل كل شيء يتبدل تمامًا .. فوضع الدفتر في خزانته الخاصة، وهرول للخارج كالسهم الذي لا يصيب هدفه.

*****

كانت وفاء هناك تنتظر، وقد أجهزت على عدد لا بأس به من المشروبات، وظهرَ على وجهها الضيق لتأخر من تنتظر، كان الكافيه الذي اختارته شعبيًّا، ولا يلفت الأنظار لرواده، وعندما وقع بصرها على نور الدين قالت:

- أهلًا بك يا باشمهندس.
- أهلًا .. هل أحضرتِ ما اتفقنا عليه؟
- طبعًا.. وهل أحضرت ما اتفقنا عليه؟؟
- أين هو إذن؟
- سلِّم واستلم.. هكذا يقولونها في الأفلام العربية القديمة.
- هل تمازحينني؟! بالطبع لن آتي لكِ بمائة ألف جنيه نقدًا، هذا هو المبلغ بشيك مصدَّق من البنك ولحامله.

تناولت منه الشيك، ونظرت إلى الرقم المكتوب بجشع ثم أخرجت ملفًا أزرق من حقيبتها، وناولته له قائلة:

- ها هو ملف الدكتور يوسف.

تناول منها الملف ثم قال:

- وفاء الأفضل أن تنسي لقاءنا هذا، وكل ما تحدثنا فيه.
- طبعًا طبعًا يا بيه.. طلباتك أوامر.

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

قالتها ويكاد وجهها يتفسخ من كثرة السعادة التي اعترتها وهي تمسك بالشيك تتشمه وتتحسس المبلغ المكتوب فيه.. وهي غير مصدقة ما تراه عيناها، ومن داخلها أيقنت أن الدنيا ابتسمت لها أخيرًا، ولكن هل تستمر تلك الابتسامة؟

حمل نور الدين الملف وغادر المكان وعلى وجهه ابتسامة سخيفة وهو يحدث نفسه: يا لغبائك أن تعتقدي أني سوف أضحي بقرشٍ واحدٍ في سبيل بضعة أوراق.. هيهات "

ثم اتجه إلى وجهته التي خطط لها.. فقد كانت خطته مُحكمة.. وستنتهي بـ (محكمة).!

تجلس علياء وهي مستغرقة في متابعة برامج المسابقات التي تفضلها التي لا تنتهي ورغم ذوبانها في البرنامج.. إلا أنها قد لاحظت أن نور الدين قد عاد للمنزل وهو شيء غير معتاد؛ ففي وقت آخر لو قنبلة انفجرت بجانبها لن تحرك لها ساكنًا.. عندما رأته تغيرت تعابير وجهها فكان قد خرج بحال وعاد بحال آخر تعجبت من البِشر الذي ملأ وجهه، وكأي زوجة مصرية أصيلة بالطبع لن تضيع هذه الفرصة التي لا تُفوّت لتسأله ما سبب التغيير وربما هذا التغيير يكون سببه امرأة أخرى.. هي بالفعل كانت امرأة، ولكن ليس كما يجول بخاطرها.. فهبت من مكانها واعترضت طريقه وهو متجه لغرفة مكتبه.. فتوقف فجأة:

- ما بكِ علياء.. لمَ تعترضي طريقي هكذا؟
- ما بكَ أنت.. خرجت ووجهك عبارة عن كوكتيل ألوان وعدت والابتسامة تفضح علامات تقدمك في السن، هل تفهمني؟؟ لقد كبرت على هذه الأشياء.
- أي أشياء التي كبرت عليها.. لا أفهم ماذا بكِ !!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا
ساحر الكتب

- تراني تتجهم.. تخرج وتعود والسعادة لا تفارقك.. ماذا هناك!

ضحك نور حتى ظهرت نواجذه.. حقًا أنتِ من خَرِفتِ وقال:

- ستفهمين كل شيء فيما بعد ولكن أبعدي تلك الخرافات من رأسك زوجتي الحبيبة.

ثم أمسكها من وجنتها وقبلها على الأخرى..

- هلا تركتِني الآن فأنا مشغول قليلًا ثم سأتفرغ لكِ حبيبتي.

تهللت أساريرها لمجرد أن سمعته يعاملها كطفلة.. بسيطة هي المرأة كلمة بسيطة من الممكن أن تطفئ نيران الغيرة التي تشتعل بقلبها لتبدلها بحمرة الخجل ترتسم على وجنتها، وفي لمح البصر نسيت ما يجب أن تسأله عليه وتحركت كمنومة مغناطيسيًا تجاه برنامجها المفضل.

******

خرجت مريم من غرفتها بتثاقل وعلامات الأسى مرسومة على وجهها، فوجدت أمها تتابع ذلك البرنامج السخيف وتمسك بهاتفها لتصوت للمتسابقين بحماسٍ زائد.. بالتأكيد لن تنتبه لها.. نظرت لها بطرف عينها غير مبالية بحالتها الطفولية التي تتلبسها وقت تلك البرامج.. كانت متجهة نحو المطبخ لتجلب كوبًا من الماء، ولكن استوقفها صوت أبيها وهو يتحدث عبر الهاتف ووصل لمسامعها بعض الكلمات.. ولكن الكلمة التي اخترقت قلبها هي اسم "يوسف".

تباطأت خطواتها وهي تمر بجانب المكتب لتتصنت على فحوى تلك المكالمة التي يذكر فيها اسم حبيبها.. حبست أنفاسها وأرهفت سمعها، وسيطر عليها صوت أبيها، ومع كل كلمة تسمعها كان جسدها ينتفض، وفي لحظة فاصلة،

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

فقدت كل تحكم لها في جسدها وسقطت مغشيًا عليها.. ومع صوت ارتطام جسدها بالأرض، انتفض أبوها من مكانه وجرى صوب ابنته المسجاة على الأرض تتبعها أمها التي أطار فزعها كل اهتمام لها ببرنامجها المفضل.

وبعد أقل من ساعة، عاد حاتم من سفرته التي قد طالت في شرم الشيخ.. لتصدمه حالة أخته، واستقبله أبوه استقبالًا عنيفًا، وقد بدأ ينبت له قرنان كقرون الشياطين من كثرة الغضب الذي استبدَّ به من منظر حاتم الـ " كول " وبشرته التي قد أضاف لها بعضًا من الـ" تان " فلم يعجبه استهتاره وهروبه من المشاكل التي كانوا فيها.. لم يكن حاتم يهرب بقدر ما كان يريد أن يتغلب على مشاعره المضطربة تجاه ذلك الوضع المعقد الذي خلقه ظهور يوسف في حياتهم.. كان يشعر بالذنب تجاهه وكم من المرات في لحظات خلوته تمنى لو لم يلتقِ به وليته فعل ولم يلتقوا، ولكن للقدر خططًا وتدابير لا نستطيع نحن البشر أن نقف أمامها أو أن نملك حق الاعتراض عليها.

******

مرَّ يومان ومريم أسيرة فراشها.. فقد كانت مصابة بانهيار عصبي حاد.. ورغم توصية الطبيب أن تنتقل إلى مصحة نفسية إلا أن اقتراحه قوبل باعتراض عنيف من قِبل والديها.. ماذا سيقول الناس ابنتهما مجنونة!! كان تفكيرهما مغلقًا ومتصلبًا وسطحيًا لا يفهم أو يستوعب معنى للمرض النفسي.. بالنهاية المريض النفسي هو شخص (مجنون)، ولكن لا مفر؛ فكان عليه الإذعان من أجل صحة ابنته التي في تدهور وعليه أن يودعها نفس المصحة النفسية الذي كان يقبع به يوسف.. كلمحة ساخرة من القدر.

*****

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

قضى يوسف الأيام الأولى التي تلت خروجه من المصحة، منغلقًا على ذاته، لا رفيق له إلا الكتاب، يعاني من عينيه اللتين شوشتا بسبب الدواء، وكلما ملّ الأمر يهرع إلى ألوانه ليمسك ريشته ويرسم خطوطًا عشوائية بألوان مختلفة، لا تعبّر سوى عن التشوش الذي يملأ عقله وقلبه.. وعندما تملها روحه يمسك بقلمه ويكتب على سطورٍ متعرجة وبغير انتظامٍ كطفل يتعلم الكتابة من جديد ما يجول برأسه..

لم يكن يدق بابه أحد غير البواب عندما يجلب له بعض متطلباته.. ولكن في ذلك اليوم لقد تم كسر كل قواعده ودق بابه، فتح الباب ليجده أمامه يبتسم ابتسامة لزجة لا معنى لها.. جعلت يوسف يقول في دهشة:

- عمي.. !!
- اتركنا من كلمة عمي تلك.. على أي حال (قالها بامتعاض) كيف حالك؟
- بخير..
- هل سنظل واقفين هكذا؟؟
- تفضل..

دخلا إلى المنزل وجلسا.. حاول يوسف أن يبتلع وجود عمه، وحاول أن يضيّفه، ولكنه رفض حتى كوب الماء ومع جلوسهما بدأ عمه مباشرة في الحديث:

- بالطبع تتساءل عما جاء بي إلى هنا اليوم؟
- تقريبًا ولكني، اعتقدت أنك أتيت لتعيد لي ما أخذته مني، ولكن خاب ظني فلا أرى معك شيئًا.

نكس نور الدين رأسه قليلًا بشكل مصطنع يوحي للذي أمامه بشعوره بالذنب ثم قال:

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- أعلم أن لم يكن عليّ أن أفتش شقتك، ولكن كان عليَّ أن أعلم أي معلومات عن ضياء الدين.
- لو كنت سألتني..أو اعتبرتني حقًا ابن أخيك، لم أكن سأخفيك أمرًا.
- دعنا مما حدث.. لقد أتيتك اليوم لشيء آخر.
- وما هو؟
- ما رأيك أن ننسى كل ما فات؟
- لم يتوقع يوسف أن تصدر تلك الكلمة من عمه الذي أصبح فجأة حملًا وديعًا. فتبدَّل الاستفهام بتعجب فاستدركه نور الدين قائلًا:
- أريدك زوجًا لمريم.. لا أعتقد ستجد أفضل منها ولا في جمالها ورقتها ووداعتها.

تجهم يوسف أكثر من المعتاد وانتفض واقفًا:

- عمي لقد انتهينا من هذا الأمر وأخبرت حاتم بوجهة نظري فما الحاجة للحديث فيه مرة أخرى؟
- أعلم.. ولكن لا خيار آخر لديك.
- كيف لا خيار لي.. وعن أي الخيارات تتحدث؟!
- الخيار الآخر اتركه لي.. الآن اهتم بهذا الخيار.. أن تتزوج مريم.
- لا.. لن أتزوجها.
- هكذا إذن.. أن تعلن رفضك لابنتي وترفض يدي الممدودة لك !
- أرجوك لا تفهمها هكذا.. لست أنا الرجل الذي سيسعد ابنتك.. لأنها ليست المرأة التي ستسعدني وبالنهاية سوف ينتهي هذا الزواج بمأساة..
- فلينتهِ بتلك المأساة.. أفضل من أن أحوّل حياتك لجحيم.
- لا أفهم مقصدك.. أي أب أنت الذي يريد التعاسة لابنته؟
- مريم تحبك ولا تريد أحدًا غيرك.. من الأفضل أن تكتشف هي مأساتها بنفسها وأنك غير مناسب لها.. عن أن نحدثها نحن بذلك.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- حقًا !! هكذا إذن.. وأنا لا اعتبار لي عندك.. هل كل المهم هو ابنتك المدللة.. لن أقبل مهما كانت تهديداتك.

وفي محاولة لابتزاز يوسف عاطفيًا قال:

- مريم في المصحة النفسية تعاني من صدمة عصبية.. هل يرضيك ذلك!!
- لا لا يرضيني بالطبع ولكن ستتحسن.. وتنساني.. وستستأنف حياتها كأني لم أمّر بحياتها يومًا.
- إذن هذا اختيارك.. فلا تندم على ما سأفعله فيما بعد.. واعلم أنك أنت الذي فتحت أبواب الجحيم بنفسك.. فلا تحاول أن تغلقها.. لأنك لن تستطيع.

وأدرك يوسف من نظرته، أن أبواب الجحيم قد فُتِحَت بالفعل، وأنها لن تُغلَق قبل أن تحرق كل شيء.

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

أحيانًا كثيرة تحتاج حافزًا.. لتنهي تلك المهزلة التي تعيشها

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

(20)

لاحظت علياء زوجة نور الدنيا تبدُّل حال زوجها، فأخذ القلق يتسرب إليها، فوقفت في شرفة غرفتها تراقبه بقلق واجف، وهو يتحرك بعصبية في حديقة المنزل، وهو يمسك بهاتفه ليحدث شخصًا أو عدة أشخاص، لدقائق كسا وجهه غضب شديد أثناء إتمام المحادثة، وما إن أنهاها، حتى هدأ قليلًا وسكنت أطرافه وسحب كرسيًا وجلس عليه وقد ارتسمت على شفتيه بعدها ابتسامة عريضة.. وبعدها اقتربت الخادمة منه وناولته فنجانًا من القهوة ثم التفتت فوجدت علياء تشير إليها من أعلى، فما إن انتبهت لها حتى التقطت إشارة منها بأن تصعد لها على الفور.. ولم تتأخر عليها وصعدت لها.

- هل تأمرينني بشيء؟
- أخبريني.. مع من كان يتحدث نور؟
- لا أدري، كان يتحدث عبر الهاتف.. وقد أشار لي أن أحضر له فنجان قهوة، ولكني سمعته يردد (ذلك اللعين).
- ذلك اللعين !! من هذا يا ترى؟

لم تهتم الخادمة بسؤال سيدتها.. لأن هناك سؤالًا أهم ألا وهو:

- ماذا أحضّر اليوم للغداء؟
- هل تعتقدين هذا وقته.. حضري أي شيء.. انصرفي من أمامي الآن.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

انصرفت الخادمة وهي تفكر في ماذا سوف تحضر لهم على الغداء.. أما علياء فقد هبطت إلى الحديقة في محاولة لاكتشاف ما يدور بداخل عقل زوجها ولكنه لم يعطها فرصة لتسأله عن أي شيء.. فقط أخبرها أنه مشغول في صفقة ما..!

شعرت ببعض الراحة لإجابته، ولكن قلقها لم يهدأ، وأخبرها قلبها أنه يخفي شيئًا خطيرًا.

*****

في منزل خالد..

أقبل خالد من الخارج، وما إن دخل من باب المنزل، حتى بدأ في ضرب وتحطيم كل شيء يقف أمامه في ثورة غضب عنيفة.

خرجت زوجته من غرفتها على الصراخ والفوضى اللذين عما المكان فزعة وغير مصدقة أن من يقف أمامها زوجها المحب الهادئ.

نظرت له غير مصدقة وغير مستوعبة، ما الذي أوصله لتلك الحالة المزرية من الهياج غير الطبيعي.. اقتربت منه لتحاول تهدئته ولكنه أطاح بها من أمامه وما استفاق إلا عندما رآها مستلقية على الأرض والخوف يملؤها منه.. تمالك أعصابه وهرع إليها قائلًا في ندم:

- أنا آسف، آسف.. سامحيني.

قالها والدموع تنهمر من عينيه بلا توقف، ثم أخذها بين ذراعيه وأخذ ينشج نشيجًا لا يذكر أنه انتحب بهذه الكيفية منذ أن ماتت والدته. لم تهتم زوجته بحالتها فقد أفزعتها حالة خالد أكثر.

- ما بك يا حبيبي.. اهدأ أرجوك.. اهدأ وأخبرني ماذا حدث؟!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

أجابها وصوته يتهدج من البكاء ووجهه محمرٌّ وعيناه تقولان أن هناك مصيبة قد وقعت:

- عن ماذا أخبرك.. عن الغدر أم الخيانة أم انعدام الانسانية؟؟
- اهدأ الآن.. سأنهض لأحضر لك كوبًا من الليمونادة تهدئ أعصابك بعدها نتحدث.

******

قبل ذلك بأسبوعين..

عاد يوسف من الصيدلية محمّلًا بأدويته، وما إن وصل إلى باب شقته، حتى وجد رجلًا يقرع على بابها بقوة، وكانت ملامحه وما يحمله يشي بكونه لم يلتقِ به من قبل، وقبل أن يهشم الباب تحت ضرباته، قاطعه قائلًا:

- ماذا هنالك من تريد..

نظر الرجل للأوراق التي أمامه وقرأ الاسم المدوَّن بها ثم قال:

- أريد يوسف ضياء الدين راضي. هل هو أنت؟
- نعم هو أنا.. من أنت؟ وما تلك الأوراق...؟
- لو سمحت وقّع لي هنا..
- على ماذا أوقّع ومن أنت؟
- أنا محضر من المحكمة.
- محضر !! وماذا تريد؟
- يا باشا أخبرتك.. لتوقّع لي على ذلك الإعلان..
- أي إعلان... !!!!!
- إعلان محكمة.. قضية.. قضية حجر.
- حجر.. وماذا يعني ذلك؟!!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- سيادتك... أنا كل ما على فعله أن آخذ توقيعك وأنصرف، باقي المعلومات عليك أن تعرفها من محاميك..

وقّع يوسف على الإعلان، الذي لو عرف فحواه أو طريقة التعامل مع تلك الأشياء، لأنهت ورقة بعشرين جنيها تلك المشكلة، ولكن ما حدث قد حدث، وأمسك يوسف ورقة الإعلان في يده وأخذ يتفرس فيها.. سائلًا نفسه (ماذا يكون هذا الحجر..؟) ولكنه فوجئ باسم المدعي فإذا به عمه !! (نور الدين راضي) !!

ظلّ يدور في المنزل كالمجنون وهو يمسك بتلك الورقة اللعينة.. ويتساءل جهرًا (هل في مصر قانون يعاقب على رفضي الزواج من ابنتك !!!) كيف هذا؟؟

لم يكن يتوقع يوسف ما علمه من أول محامي وجد لافتته مضيئة في الجوار، لم يكن يتوقع كم الدناءة أن تصل لحد أن عمه يرفع عليه قضية حجر ليجرّده من كل ما يملك.. ليتركه ككلب أجرب يشحذ في الأزقة.. أن يجرده من مكانته العلمية ويمنع من السفر إلا تحت إمرته.. حتى الزواج يجب أن يكون تحت وصايته.. وكأنه لم يبلغ بعد سن الرشد ويعامل كقاصر.. لا يستطيع حتى أن يقود سيارته.. أي قانون هذا الذي سيجردني من آدميتي وفي حقي أن أعيش كإنسان.. لم يرد على المحامي إلا بكلمة واحدة:

- كيف؟؟
- هذا هو القانون..
- ومن أعطاه الحق بذلك؟
- لا أعلم، اتركني أتواصل معه لأعلم ما هي قرائنه لرفع تلك القضية عليك. من المعروف أن تلك القضايا ترفع على كبيري السن الذين يصلون إلى حد الخرف.. وبعض المرضى النفسيين !!

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

هنا احتبست أنفاس يوسف عن الخروج واحتقن وجهه.. والدموع بدأت في تكوين بركة صغيرة داخل عينيه.. شعر أنه فجأة أصبح خارج النطاق الجوي واصطدم به نيزك مشتعل أحرق قلبه وحَفر بهِ قبرهُ.. طلب بصعوبة كوب ماء.. تجرعه كمن كان يتجرع دموعه معها فإذا به يشعر بالاختناق كأن الكرة الأرضية بأسرها تقف في حلقه، وبدأت تمنع الماء من أن يروي أوردته التي تجمدت فجأة فقد وضعته الصدمة بحوض ثلج وتيبس لسانه عن الحديث.. وكاد قلبه أن يتوقف .

- ماذا بك أستاذ يوسف؟؟
- لا شيء.. أنا متعب قليلًا.. إذا توصلت لأية معلومات من فضلك اتصل بي..

قام من مكانه وقدماه لا تحملانه.. جرهما بثقل شديد وهو يستند على الحوائط ويكاد لا يرى أمامه، وأخذ يستجدي أنفاسه أن تخرج.. ويتوسل إلى عينيه أن لا تتركا لدموعه العنان في أن تهبط وإذا بها تهمر غير مبالية لتوسلاته..

استقل سيارته وهو يكاد لا يرى الطريق أمامه، ولكن العناية الإلهية هي من أوصلته إلى منزله، ارتمى في ركن المنزل المظلم.. لم يكن ليحتاج أن ينير الأضواء؛ فكان كافيًا عليه الظلمة التي أحاطت به وتوغلت داخل قلبه.. أخفى وجهه بكلتا يديه وانخرط في بكاء لا نهاية له.. بكاء أغرقه وزلزل أركانه..

أخذ ينتحب وينشج ويعلو صوت انتحابه حتى وصل لدرجة الصراخ.. بدأ يهذي بكل ما في عقله الذي كاد ينفجر مما هو فيه.. (هكذا إذن.. ماذا فعلت.. ليتني ما عدت لهذا البلد الذي أصبح المرض النفسي فيه جرمًا،

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

ليتني لم أدخل عالمكم.. ما هذا المجتمع المريض، كأنه كان يكفيني أنت يا من تسمى عمي وأي عمومة تلك التي تجعلك تطيح بي تلك الإطاحة وما ذنبي أنا بكل ذلك.. ماذا فعلت ماذا فعلت..)

أخذ يتساءل ويتساءل حتى وقعت عيناه على حقيبة الأدوية البلاستيكية التي كان قد أحضرها من الصيدلية صباحًا....نظر إليها طويلًا ثم قام إليها وفض شريطًا من أشرطته وظل ينظر إليه طويلاً وفكرة ما تعتمل بداخل رأسه.

كان يشعر بالإرهاق والتعب ويتمنى أن يحصل على الراحة، استند برأسه على المقعد وهو جالس على الأرض لا يعلم ماذا يفعل..أحس أنه في جُبٍ سحيق)، وشعر بما شعر به نبي الله (يُوسُف) عندما رماه إخوته في البئر.. لم يكن ليتوقع أن تتكرر القصة معه، وتتحول صلة الدم إلى ماءٍ آسن، شعر بخوفه وهلعه ودموعه والوحدة التي هزت أركانه.. فقد حكم عليه عمه بالموت المحقق !!

ودون أن يشعر قبض على شريط الدواء المهدئ بقوة، وكأنه سلاحه الأخير الذي سيواجه به الدنيا.

جاءت زوجة خالد بالمشروب البارد لزوجها الذي قد استفاق من انهياره قليلًا.. أمسك الكوب بيدٍ مرتعشة وأخذ يرتشف منه وعيناه تائهتان . جلست أمامه تنظر إلى عينيه اللتين لا تراهما..

خالد.. ماذا بك.. أخبرني.

- عن ماذا أخبرك.. عن ذلك الوقع الداعر الذي يضاجعنا في كل يوم وليلة بدون أن يضع اعتبارًا لأي شيء.. عن ماذا أخبرك؟؟ عن ماذا.. ها أخبريني؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

- أخبرني ماذا حدث.. ماذا حدث لكل ما أنت فيه؟

نكس خالد رأسه وكأنه لم يعد قادرًا على أن يرفعها بعد ذلك..ثم أطرق بعيدًا عنها وأعاد النظر إليها مرة أخرى..

- إنه يوسف.. مريض كان عندي في المصحة.. ارتبطت به بشدة.. لا أعلم لماذا ولكنه هذا ما حدث، ربما لأنه يشبه أخي المتوفي في ظروف كثيرة، أو لأنه يحتاج للتعاطف والشفقة، أو لأن الحياة ظلمته، لا أعرف السبب حقًا .. فقط تعاطفت معه وشعرت بمأساته التي يعيشها.. غالبًا ما يكون المرض النفسي وبالًا على صاحبه، ولكن عندما يكون متوغلًا في نفسيته ومتملكًا عقله بهذا الشكل يكون جحيمًا خالصًا، لم أكن أملك معه إلا أن أتعاطف معه.. فعاملته كصديق وإنسان له الحق أن يعيش حياة طبيعية غير مستهجنة من المجتمع..
- ماذا حدث له؟؟
- لقد فوجئت اليوم باتصال.. زلزل أركاني..
- ومن من هذا الاتصال؟؟ من يوسف !!
- لا.. من وكيل النيابة.
- وكيل نيابة !! لمَ ماذا حدث؟

(كنت أجلس في مكتبي وإذا بالهاتف يدق بغير توقف.. أمسكت به فوجدته رقمًا غريبًا.. تجاهلته مرة ولكنه كان يلح في الاتصال فما كان عليَّ سوى أن أجيب:

- ألوو.. من معي؟
- دكتور خالد ناجي؟
- نعم أنا معك دكتور خالد ناجي.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- هل تعرف شخصًا يدعى يوسف ضياء الدين راضي؟
- نعم.. أعرفه هل حدث شيئًا؟
- إذا سمحت نريدك في قسم شرطة مدينة الرحاب.
- حسنًا.. سأكون عندك في الحال.. ولكن أخبرني هل حدث شيء؟

لم يمهلني وأغلق الهاتف.. خرجت وأنا لا أعلم هل أنا الذي في حالة دوار أم أن الأرض هي من تميد بي. وما إن وصلت عند وكيل النيابة حتى أبلغت الحارس بهويتي؛ فوجدته يقول لي إنه ينتظرني على الفور..!! دخلت وأنا لا أعلم ما السبب الذي جعله يستدعيني وينتظرني بهذا الشكل!! وما علاقة يوسف بكل هذا وطيلة الطريق وأنا رأسي يدور والأسئلة تتصارع داخلي.. ترى هل يكون قد سُحِبَت رخصته أم أنه قد ارتكب حماقة تحت نوبة من نوبات الهوس.. ترى هل يكون قد توقف عن أخذ علاجه!!، أم أنه قد قام بحادث بسيارته؟ ويا ليت تلك الظنون كانت صحيحة.. استفقت من علامات استفهامي على صوت وكيل النيابة، رحب بي والهدوء يملئ قسماته.. لا أعلم كيف يكونون بكل هذا الهدوء وهم في معقل التوتر كله ولكني بادلته الابتسام وجلست.

- ما الأمر.. ماذا فعل يوسف؟

تجاهل سؤالي تمامًا.. وكأنه لم يسمعه واستطرد في أسئلته.. فالقاعدة تقول إن وكلاء النيابة فقط هم من يسألون.. ولا يجيبون أبدًا.

- أنت طبيب يوسف النفسي أليس كذلك؟!
- نعم.. ماذا به.. هلا أخبرتني؟
- منذ متى.. وأنت طبيبه؟
- منذ ثلاثة أشهر.. هلا أخبرتني ماذا به رجاءً؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- هل أخبرتني مم كنت تعالجه؟
- الاضطراب ثنائي القطب.
- وما هي العلاجات التي كتبتها له؟ وهل كانت تحت إشراف أحد غيرك؟
- كان تحت علاج مكثف من الليثيوم.. الذي كان يعمل كمثبت للمزاج .. ويتناول أقراص ديباكين منومه.. وكان الدكتور طاهر مدير المصحة يشرف على هذا العلاج بنفسه..
- هل كان هناك أي علاجات أخرى؟
- صدمات كهربية في حالات الاكتئاب الشديدة.

هنا قد وصل بي التوتر مداه وبدأ الدم يغلي في رأسي فقمت واقفًا:

- هلا أخبرتني ماذا هنالك.. ولم كل تلك الأسئلة؟
- اهدأ قليلًا.. تفضل اجلس.. إنها أسئلة روتينية.
- روتينية عن ماذا..؟!!
- فقط أجبني وسوف أخبرك عن كل شيء هل من الممكن؟
- تفضل ماذا بعد؟
- أيٌّ من هاذين العلاجين من الممكن أن يسبب سكتة دماغية؟
- الليثيوم لا خطر منه.. ولكن الديباكين كأي منوم زيادته من الممكن أن تؤدي إلى تلك الـ..

وهنا صمتت عن الحديث تمامًا.. وبدأت عضلاتي جميعها في الارتخاء.. ورأيت وجه يوسف في خيالي وعيناه شاخصتان.. وقد توقف قلبه عن عزف سيمفونيته الحزينة.

- ماذا بك يا دكتور؟
- هل انتحر يوسف؟؟

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- نعم.. وجدناه في شقته وبجانبه العديد من شرائط الديباكين الفارغة ولا شك في أنه تناولها جميعًا، وبعد تقرير الطبيب الشرعي تبين لنا أنه قد مات متأثرًا بأزمة قلبية نتيجة تعاطيه جرعة زائدة منه.

في تلك اللحظة لم أكن أعلم ماذا عليَّ أن أفعل..

أكمل وكيل النيابة حديثه:

- وجدنا رقمك في كل مكان في المنزل على الحوائط وعلى بضعة أوراق متناثرة.. ومعها كلمات.. " العلاج هو ما سيجعلك تعيش حياة طبيعية " وورقة أخرى تفيد بأنها إعلان قضية حجر مرفوعة عليه.
- حجر؟!!

*****

قبل الانتحار بأسبوعين

((جاء اتصال ليوسف.. كان الاتصال المتوقع.. المحامي يخبره أن عمه قد تحصل على ملف يفيد بمرضه النفسي.. وأنه يستوجب الحجر عليه لأنه يفتقر إلى السيطرة على نفسه.. ويجعل تصرفاته غير مسئولة وأنه لخوفه عليه من أن تضيع ثروته هباءً.. وجب عليه أن يرفع قضية الحجر !! وعندما سأله وما نهاية تلك القضية هل من الممكن أن يكسبها.. أجابه بمنتهى الفتور:

- *سنفعل كل ما علينا، ولكن أنصحك أن تحل معهم الموضوع وديًا لأن حالتك النفسية ليست بصفك والملف معه ولا أعلم كيف توصَّل إليه!*

fb/Sa7er.Elkotob ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

((لم يتمالك يوسف نفسه حاول أن يبتلع ما قد قيل له للتو، ولكنه لم يستطع، وقفت في حلقه كغصة اختنق بها فأخذ يركل كل ما أمامه، وكأن قوته تركزت فقط على التدمير فاستمر في تدمير محتويات شقته، حتى ارتمى بجسده المتعب على فراشه وأغمض عينيه، أغمضهما بشدة كأنه يرى كابوسًا لعينًا يريده أن يكون قد انتهى منه، ولكن هيهات إنه الواقع، لا يفيد معه سوى التجاهل وتلك الحرفة لم يكن يجيدها .

فتح عينيه وجد صورته منعكسة على المرآة المقابلة لفراشه لم تكن صورته بل لرجل خمسيني ينظر له نظرة استهزاء وتعالٍ ثم تحولت لابتسامة لزجة ثم اتسعت لتصبح ضحكات صاخبة.

أثارت تلك الضحكات حنق يوسف، قفز من على فراشه وأخذ يرمي المرآة بكل شيء يقع في يده حتى تهشمت ولم يعد أمامه غير صورته المشروخة والمهتزة. لم يتعرف على نفسه، تجسدت صورته أمامه كمسخ بفعل الفتات المهشم، أمسك رأسه وبات يدور في الغرفة إلى أن جلس مسندًا رأسه على ركبتيه التي ضمهما إلى صدره كان يحتاج أن يبكي بملء جفنيه.

فجأة ترددت مقولة خالد في رأسه الخاوي إلا من الضلالات وكأنها جاءته لتعيد له كينونته التي ضاعت هباء الأطماع" العلاج هو ما سيجعلك تعيش حياة طبيعية"، ولكنه لم يجد لها ذلك الأثر المترامي في روحه وأخذ يهذي بصوتٍ خافت يملؤه اليأس حينًا والسخرية حينًا آخر" أي حياة طبيعية التي تتحدث عنها !! " حاول أن يقاوم إحساسه بعدم أهميته وأن الحياة انهارت من حوله ولكن هراء.

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنـــا

حاول أن يقاوم إحساسه بالهوان وعدم جدوى وجوده وأن عوالمه تنهار من حوله، ولكن بلا جدوى؛ فقد كان هذا موعد انتكاسته التي لا تؤخر موعدها أبدًا معه كأنها حبيبته التي قد اشتاقت إليه..

حاول أن يذكِّر نفسه بالعلاج، كتبه على الجدران وفي أوراق كثيرة متناثرة، ظلّ يدور في منزله وكل ورقة يكتب فيها رقم خالد.. فلم ينسَ أنه الوحيد من أشعره بالأمان.. هو الوحيد من شعر معه بآدميته.. وأنه في يوم ما كان القشة التي تعلق بها..

كان يصارع ذلك الوحش الذي يكبر بداخله رويدًا رويدًا إلى أن تملكه نتيجة انقاطعه عن العلاج ومقاومته له فإذا أخذ يومين، الثالث لا يتناوله إلى أن وصل لمدة أسبوعين لم يتناوله. خارت قواه ولم يعد يحاول في مقاومته بل استكان له تمامًا واستسلم له.

كانت أشرطة (الديباكين) في كل مكان حوله .. وفي لحظة يأس شديدة عاد كل شيء مثلما كان فلم يعد يرى سوى السواد يحيط به ولا يوجد به بصيص من الأمل.

مرّ من أمامه شريط حياته وكأنه يراه من خلال (نيجاتيف) فلم يرَ غير البقع البنية والسوداء التي تمر أمامه ولكن أيضًا ضاعت مساعيه أدراج الرياح ثم سخر من محاولاته وانسابت الكلمات منه كسيلٍ لا ينتهي.

- " ما قيمة الحياة؟! لمن أعيشها وكيف سأعيشها، لقد تجاوزت العديد مم مرّ بحياتي، تجاوزت موت أمي الحبيبة، وتجاوزت رؤية أبي مشنوقًا وتجاوزت نوباتي ومرضي الذي لا يقهر يا إلهي.. لا أستطيع بعد الآن أن أستكمل المسير. أترضى لي أن أكون عبدًا لغيرك، كيف رضيت لي الذل والهوان، أحقًا يكون ما يحدث لي عقابًا لما اقترفت من ذنوب، وهل هذا

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

عدلّ أن أكون أنا الضحية، أهذا ابتلاء أم بلاء ! وكيف أطيعك وأنت من ارتضيت لي الهوان والقهر أخبرني.. أخبرني الآن كيف لي أن أتجاوز تلك المحنة بالإيمان !!

لم يكن يعي ما يقول، هاجمته هلاوسه وظل يهذي ويؤنب نفسه ويجلدها على كل ما اقترفت يداه، وأكبر جريمة اقترفها كانت عودته إلى أرض الوطن بكل الخواء الذي فيه، فلم يجد سوى الجحود لم تفعل تلك الأرض الآثمة سوى إجهاض كل أمانيه وأحلامه.

وعندما تملكه إحساسه بالقهر واليأس، أمسك بكل الأشرطة وأخذ يفرغها كلها أمامه دفعة واحدة وبشكل هيستري.. وبلا وعي أخذ يدسهم في فمه؛ فكان كالجائع الذي يتناول وجبته الأخيرة من تلك الحياة وانتظر الغيمة الكبرى أن تغشي عينيه ويذهب معها في سباته الأخير.. ترك نفسه يهوي في ذلك الجُب السحيق.. ظلّ يراقب نفسه وهو يرى نفسه بعين عقله يسقط فاردًا ذراعيه تاركًا جسده يرتطم بالقاع، كان يرى أمه تمدّ يدها إليه فاستسلم أكثر ليلقي يده في يدها وتجذبه إليها فتكون تلك الضمة الأخيرة، وأغمض عينيه وكانت آخر مرة يفتحهما..))

- دكتور خالد.. هل أنت معي؟؟
- نعم..
- حسنًا.. هل كانت بالفعل حالته تجعله فاقدًا للأهلية..؟
- ليس بهذا الشكل.. ولكن العلاج هو ما يسيطر على حالته بالشكل الأكبر.. وللأسف مريض الاضطراب ثنائي القطب يقاوم العلاج لدرجة الاستماتة؛ لذا ينصح دومًا أن يأخذه تحت رقابة.
- لم يكن عنده رقيب غيرك.. فمن الواضح أنه يسكن وحده.

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

- للأسف نعم.. ولكن الملف كيف وصل ليد عمه.. نحن نحافظ على حالات مرضانا.. أكاد أُجَنّ !!
- لا علم لي.. استدعيتك لأكمل بعض المعلومات... فقد كان من الواضح تعلُق المريض بك.
- نعم.. أنا أيضًا تعلقت به.. لذا أسلمت حالته للدكتور طاهر.
- إذن ملفه كان عند الدكتور طاهر؟!
- نعم.. قدمت تقريرًا مفصلًا عن حالته وسلمته له، ولكنه بعدها سافر لمؤتمر خارج البلاد.. ولا أعلم متى سيعود.

****

(يخرج نور الدين من مكتب الدكتور طاهر والغيظ يملؤه من صديقه: فلم يكن يتوقع أن يخيّب ظنه لهذه الدرجة، لم يكن منتبهًا لمن أمامه فاصطدم بوفاء.. كان جبينه يتصبب عرقًا وحالته لم تكن بالطبيعية فسألته إن كان بخير.. قفز شيطانه من جديد إلى مخيلته وهبطت عليه الفكرة الشيطانية القذرة.. فلم يفكر وبادرها بسؤال مباغت: ما رأيك أن تسدي لي خدمة مقابل مائة ألف من الجنيهات.. ففرت وفاء فاها ولم تتردد فكانت فرصة العمر بالنسبة لها.. فوافقت حتى بدون أن تعلم ما هي تلك الخدمة التي سوف تقدمها.

تسللت وفاء إلى مكتب الدكتور طاهر بصفتها كبيرة الممرضات وصدرها يلهج من كثرة التوتر الذي تعانيه.. ويكاد قلبها يقفز من تجاويف رئتيها من كثرة دقاته كادت تشتم الأدرينالين في دمها وهو يتدفق بقوة.. أخذت تقلب في الملفات بآلية.. كأن مخها مبرمج على الاسم " يوسف ضياء الدين راضي " وما إن وجدته حتى دسته بداخل ملابسها ومسحت وجهها من قطرات العرق التي تدفقت من خلال مسامها.. وحسّنت من هيئتها.. وخرجت كأنها

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

لم تفعل شيئًا.. هرعت إلى هاتفها تبلغ نور الدين أن غايته معها وفي انتظار أن يفي بباقي الاتفاق.. كانت تعلم أن لا يوجد أحد سيكتشف فعلتها الدنيئة بسفر الدكتور طاهر.. ولن يرى وجهها أحد بعد الآن، وبالفعل فلم يرَها أحد لأنها خلف القضبان بتهمة صرف شيك مزور من دفتر شيكات ضائع بعد أن حرَّر(نور الدين) محضرًا بضياع دفتر شيكاته.)

*****

وجَّه خالد حديثه لزوجته:

- غادرت مكتب وكيل النيابة وأنا لا أدري وجهتي إلى أين.. ظللت أدور وأتفرس في وجوه الناس.. هل نعيش في غابة؟؟ أهكذا تجري الأمور.. كيف لإنسان أن يستطيع أن يدمر حياة آخر بمثل هذا الشكل.. كيف يستطيع أن يتمعن في قهره وإذلاله بهذه الكيفية.. ماذا فعل يوسف ليتم هدم حياته بتلك الطريقة !!

ألهذا عاد إلى أرض الوطن.. لكي يحتضنه ويعطف عليه أم لكي تبتلعه أرضه وهو ملفوف بكفن مكتوب عليه كلمة النهاية.. نهاية حياة تمنى أن يعيشها كأي إنسان طبيعي..

متى ستتغير المفاهيم في مجتمعنا؟! متى سنعلم أن المرض النفسي ليس بوباء يجب الابتعاد عمن يعانون منه؟! متى سنكف عن ظلم من ظلمتهم عقولهم!، متى سنكتفي من العهر؟ متى سنكتفي من كل هذا... عبث.. عبث أن نكتفي أو أن تكتفي وستظل الحياة تلعب معنا لعبتها القذرة بدون أن تملّ ونحن نسير تحت وطأتها بلا اكتفاء.. وبلا هدف سوى التدمير.

* * *

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا

الخاتمة

هل انتحر يوسف أم قُتِل، تعتقدون أنه انتحر أليس كذلك؟!، ولكن الحقيقة أنه قد قُتِلَ ومع سبق الإصرار والترصد، لقد قتله أبوه وعمه ومرضه، وأكبر قاتل قد دس خنجره في قلبه هو المجتمع.

لم يكن يوسف ملاكًا بل إنسانًا له أخطاؤه وعيوبه، لم يكن مثاليًا على الإطلاق، ولكن مَن منّا مثالي، كلنا تملؤنا العيوب؛ فلم يخلق الإنسان للكمال، ولكنه خُلِقَ للنقص هكذا نحن.

انتهت حياة يوسف.. لأنه لم يستطع أن يقاوم وحش الاكتئاب اللعين.. انتهت حياته ليس فقط من أجل ذلك الوحش الذي كان لكي يهدأ يجب أن يقذف بضع حبات في فمه مفعولها كان كطوقٍ يُوضَع في عنق صديقه الذي يوسوس له بالموت في كل لحظة يسيطر عليه أحيانا، ولكنها لم تكن لترديه صريعًا بل كان هو المصروع، لم يكن يدري يوسف أن تشوُّش الرؤية الذي كان يصيبه جراء تناوله دوائه كان ليعميه قليلًا عن قبح الحياة، عن الدناءة المتوطنة في أقرب الناس لديه.. وجفاف حلقه كان أخف كثيرًا من أن يجف بفعل التعذيب والقهر .. وأن الغثيان الذي يراوده كان ردة فعل طبيعية تجاه واقع مقزز.

أغلق دفتر حياته لأنه فقدَ الأمل أن يرى أحلامه تتحقق.. أن يتفهم الناس عشقه لامرأة تحتويه كطفلٍ يستكين بين أحضانها.. أن يستمتع حتى بعذابها

لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنا

له ويتلذذ بسطوتها عليه.. نعتوه بانعدام الرجولة.. نعتوه بأنه حيوان مصاب بالجرب لا يصح أن يقترب منه أحد.. لِمَ !! لم يكن يعي سوى بكمِّ الخلل الذي تغلل فيه وهو لا ذنب له فيه.

" هكذا هي أنتِ يا أمي.. عندما رحلتِ رحلت كل الأشياء الجميلة.. انهارت حياتي وانقلبت رأسًا على عقب.. تخلَّى عني أبي ودمرني عمي وبتُّ لا أقدر على شيء..

أكتب لكِ تلك الرسالة بعينٍ أحرقتها الدموع المالحة وبخطٍّ متعرج بائس لا يقوى سوى على الاهتزاز. نعم الاهتزاز الذي ملأ روحي وزلزل كياني، أكتبها لكِ لأنني على يقين أنكِ تربنني الآن من مكانك المشع بالنور والضياء، أخطها لكِ لتفتحي لي أحضانك، لقد اشتقت إليكِ.. لُفيني بذراعيكِ.. لململيني وداوي اهتراء روحي بلمستك الحنونة، أريد أن أدفن رأسي في صدرك الدافئ.. فمن بعدك لم أشعر إلا بالبرودة تُجمِّد أوصالي.. اغمريني بحنانك ها أنا أشتم رائحة التراب العطنة تتخلل أنفي، فرائحة الموت أحب لي من تلك الحياة التي يملؤها العفن.. أنا قادم إليكِ احميني بداخلك ولا تتركيني فريسة للموت مثلما تركتِني فريسة للحياة، كوني لي طوق النجاة.

رسالة لم تصل للمُرسَل كتبها يوسف قبل أن يقدم على الانتحار..

تمت بحمد الله

2015 / 4 / 4

بورسعيد

***

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هـنــــا

شُكر خاص

إلى هؤلاء الذين سبقوني في دنيا الأدب، شكرًا لدعمكم ونقدكم فكنتم لي خير معين..

د.عمرو مرزوق، د. حسين السيد، أ. عمرو المنوفي أ. محمد عصمت،

أ.أحمد عبد المجيد، د . محمد سعد الدين السيد .

المستشار محمد لهيطه، أ. محمد راشد، د. داليا الباجوري،

وأخيرًا، أوجّه شكري للقارئ الذي وضعَ سطوري بين يديه.

لزيارة
الجروب
علي
الفيسبوك
اضغط هنا

في هذه القصة تأخذنا الكاتبة لرحلة من أروع الرحلات داخل حالات العقل البشري المضطرب والتي تناولتها بحرفية شديدة مبتعدة عن كل ماهو مبتذل، فجاءت سطورها تنمّ عن وعي جيد وشرح مبسط كان قادرًا على اجتذابي وشدي للرواية رغم ابتعادي عن اللونً الاجتماعي، ولكني أحييها بشدة عن تجربتها وحرفيتها في تناول تلك القضية الموجودة في مجتمعنا.

د . عمرو م . مرزوق

شخصيًا يروقني هذا النوع من الروايات.. أحب الرواية النفسية التي يجتهد فيها الكاتب ويتعمق في مناقشة فكرته خاصة لو كانت جريئة أو غير مألوفة وهذا ما وجدته بين صفحات هذه الرواية. الرواية تناقش قضية حقيقية بصورة مبتكرة وجديدة وبأسلوب جذاب رائع. ولهذا أعجبتني.

د . حسين السيد

◆◆◆◆◆

حينما يكون المرض النفسي جريمة يعاقب عليها المجتمع؛ فلا ترى سوى الجحود والظلم لأناس لا يحتاجون سوى أن يعيشوا حاضرهم السيء ويواجهوا مستقبلهم المظلم ويعانوا من الماضي المؤلم، فإذا كنت تنتمي لهذا المجتمع الذي يعتبر المريض النفسي آفة؛ فلا أنصحك بقراءة تلك الرواية.

تصميم الغلاف : أسامة علام

ISBN 9789777780414

fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
لزيارة الجروب علي الفيسبوك اضغط هنـــا